

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية الآداب

E-ISSN: 2663-8118 P-ISSN: 2074-9554

مجلة آداب الفراهيدي

مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الآداب
جامعة تكريت

المجلد (١٣) العدد (٤٧) ايلول ٢٠٢١م، القسم الثالث

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ـ بغداد ١٦٠٢ لسنة ٢٠١١





The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
Tikrit University
College of Arts

E-ISSN: 2663-8118 P-ISSN: 2074-9554

Journal of Al - Farahidi Arts

A Quartly Academic Journal Of The College of Arts
Tikrit University

Vol (13) No (47) September 2021, Third Part

Deposit number at Books and Documents
House - Baghdad 1602 of 2011



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت



مجلة
آداب الفراهيدي

مجلة علمية محكّمة فصلية تصدر عن كلية الآداب
بجامعة تكريت

الترقيم الدولي للطباعة الورقية: ٩٥٥٤ – ٢٠٧٤

الترقيم الدولي للنشر الإلكتروني: ٨١١٨ – ٢٦٦٣

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: ١٦٠٢ لسنة: ٢٠١١

المجلد (١٣) العــدد (٤٧) أيلول ٢٠٢١ القسم الثالث

مجلة آداب الفراهيدي

شروط النشر:

١. ان يكون البحث مطبوعاً على الحاسوب، وتزود هيئة التحرير بثلاث نسخ منه مع نسخة على قرص ليزري (CD).

٢. ان لا تزيد عدد صفحات البحث عن (٢٥) صفحة ولا تقل عن (١٥) صفحة من الحجم العادي (A4) ويستثنى من ذلك النصوص المحققة على ان يدفع الباحث مبلغ (١٠) عشرة الاف عن كل صفحة إضافية إذا كان البحث يزيد عن ٢٥ صفحة للبحوث داخل العراق و٨ دولار امريكي للبحوث خارج العراق.

٣. يمكن ان يكون البحث جزءاً من رسالة الماجستير أو أطروحة الدكتوراه التي أعدها الباحث على ان يلتزم الباحث بوضعه على قالب المجلة واستكمال المعلومات المطلوبة باللغتين العربية

والانكليزية، وألا يكون قد سبق نشره على أي نحو كان أو تمَّ إرساله للنشر في مجلة أخرى ويتعهد الباحث بذلك خطياً.

٤. يلتزم الباحث بإجراء تعديلات المحكمين على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز (١٥) يوماً.

٥. أن يكون البحث ضمن الاختصاصات الانسانية ومن ضمن ابواب المجلة الستة الثابتة.

٦. يخطر أصحاب البحوث بالقرار حول صلاحيتها للنشر أو عدمها خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر من تأريخ وصوله لهيئة التحرير.

٧. لا ترد الأبحاث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

٨. يلتزم الباحث بدفع أجور النشر المقررة والبالغة ١٠٠ ألف دينار عراقي داخل العراق إذا كان عدد صفحاته اقل من (٢٥) صفحة وما زاد عن ذلك يدفع الباحث مبلغ (١٠) الاف دينار عن كل صفحة اضافية و١٠٠ دولار أمريكي خارج العراق إذا كان عدد صفحاته اقل من (٢٥) صفحة وما زاد عن ذلك يدفع الباحث مبلغ (٨) دولار عن كل صفحة اضافية وكذلك دفع مبلغ ٢٠ دولار لعمل استلال الكتروني للبحث.

٩. يطبع البحث ببرنامج (Word)، وتوضع الرسوم أو الاشكال – إن وجدت – في مكانها من البحث على أن تكون صالحة من الناحية الفنية للطباعة.

١٠. أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والاملائية.

١١. يجب اتباع الأصول العلمية والقواعد المرعية في البحث العلمي.

١٢. يجب أن تكون الخطوط كالآتي:

- **اللغة العربية:** نوع الخط (Simplified Arabic) حجم الخط (١٤).
- **اللغة الانكليزية:** نوع الخط (Times New Roman) حجم الخط (١٤).

١٣. عمل الهوامش يكون بنظام تلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث، ويكون الترقيم مستمراً، مع التدقيق في تسلسل الترقيم.

مجالات النشر:

١. **البحوث العلمية:** تنشر المجلة البحوث العلمية الأصيلة والمخطوطات المحققة في مجال العلوم الإنسانية.

٢. **المؤتمرات والندوات العلمية:** تنشر المجلة بحوث المؤتمرات والندوات العلمية المحلية والعربية والعالمية والتي عقدت حديثاً في مجال العلوم الإنسانية وضمن ابواب المجلة الستة الثابتة.

ملاحظات النشر:

١. البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين ولا تعبر عن رأي المجلة.
٢. ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
٣. تستبعد المجلة أي بحث مخالف لقواعد النشر أو الذي يرفض من قبل الخبراء.
٤. يعطى الباحث نسخة مستله من بحثه.

العنوان البريدي:

جمهورية العراق، محافظة صلاح الدين، مدينة تكريت | جامعة تكريت، كلية الآداب، مجلة آداب الفراهيدي.

معلومات الاتصال		
http://www.jaa.tu.edu.iq	jaa@tu.edu.iq	dr.saadsalman@tu.edu.iq

المحتويات




The Eminence of Muslims And Their Justice with Others in The Writings of Westerners - The Book "L'Islam, Impressions Et Études" By the Orientalist Henry De Castries As A Model

Co-Professor Dr: Salih Bin Abdullah Bin Musfir Al-Ghamidy

Umm Al-Qura University

College of Da`wah and Fundamentals of Religion

Department of Da`wah and Islamic Culture







سماحة المسلمين وعدلهم مع غيرهم في مؤلفات الغربيين - كتاب "الإسلام خواطر وسوانح" للمستشرق هنري دي كاستري إنموذجاً

الأستاذ المشارك الدكتور: صالح بن عبد اللّه بن مسفر الغامدي

جامعة أمِّ القرى

كلية الدَّعوة وأصول الدِّين

قسم الدَّعوة والثقافة الإسلامية





Journal of Al-Frahedis Arts, Tikrit University | Vol (13) Issue (47) Part III | September 2021 | Pages (443-475)



ISSN: 2663-8118 (Online) | ISSN: 2074-9554 (Print)

Journal of Al-Frahedis Arts

Article Available Online: Iraqi Scientific Academic Journals, Open Journals System



Dr. Salih Bin Abdullah Bin Musfir Al-Ghamidy
E-Mail: saalghamdy@uqu.edu.sa
Mobile: +966506781727

Department of Da`wah and Islamic Culture
College of Da`wah and Fundamentals of Religion
Umm Al-Qura University
Mecca
Kingdom of Saudi Arabia

The Eminence of Muslims And Their Justice with Others in The Writings of Westerners - The Book "L'Islam, Impressions Et Études" By the Orientalist Henry De Castries As A Model

***Keywords*:**

- Orientalism
- Justice
- Eminence
- Just orientalists
- French Orientalism

A B S T R A C T

This research, entitled (The Eminence of Muslims and Their Justice with Others in the Writings of Westerners - The book "L'Islam, impressions et études" by the Orientalist Henry de Castries as a model) Studying the testimony of a French orientalist on the justice and tolerance of Muslims with others. The main objective of this research is to contribute scientifically to clarifying the true picture of Muslims' justice and tolerance with non-Muslims, by studying a model from the writings of Westerners who are fair to Islam and Muslims. The research concluded that the Orientalist "De Castry", in addition to his fairness, also criticized the stereotype negative image of Islam and Muslims in the West, and sought to correct it. The research recommended that Muslim scholars and researchers should pay attention to authoring and publishing everything that contributes to correcting the image of Islam and Muslims, and showing the tolerance and justice of Islam even with non-Muslims.

A R T I C L E I N F O

Article History:
Submitted: 12/09/2021
Accepted: 19/09/2021
Published: 01/11/2021

* *Corresponding Author: Dr. Salih Bin Abdullah Bin Musfir Al-Ghamidy | Department of Da`wah and Islamic Culture, College of Da`wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University | Mecca, K.S.A | E-Mail: saalghamdy@uqu.edu.sa / Mobile: +966506781727*

سماحة المسلمين وعدلهم مع غيرهم في مؤلفات الغربيين - كتاب "الإســلام خواطر وســوانح" للمستشرق هنري دي كاستري إنموذجاً

د. صــالح بن عبد الله بن مســفر الغامدي

البريد الكتروني: saalghamdy@uqu.edu.sa

رقم الجوال: +966506781727

قسم الدَّعوة والثقافة الإسلامية
كليَّة الدَّعوة وأصول الدِّين
جامعة أمِّ القرى
مكَّة المكرَّمة
المملكة العربية السعودية

الكلمات المفتاحية:

- الاستشراق
- العدل
- السماحة
- مستشرقون منصفون
- الاستشراق الفرنسي

الملخص

كتاب "الإسلام خواطر وسوانح" للمستشرق هنري دي كاستري أنموذجاً دراسة شهادة أحد المستشرقين الفرنسيين على عدل المسلمين وسماحتهم مع غيرهم. والهدف الرئيس من هذا البحث هو الإسهام علمياً في بيان الصورة الحقيقية لعدل المسلمين وسماحتهم مع غير المسلمين، وذلك عبر دراسة أنموذج من كتابات الغربيين المنصفين للإسلام والمسلمين. وخلُص البحث إلى أن المستشرق "دي كاستري"، بالإضافة إلى إنصافه، انتقد كذلك الصورة الذهنية السلبية عن الإسلام والمسلمين في الغرب، وسعى إلى تصحيحها. وأوصى البحث بضرورة عناية علماء المسلمين وباحثيهم بتأليف ونشر كل ما يُسهم في تصحيح صورة الإسلام والمسلمين، وبيان سماحة الإسلام وعدله حتى مع غير المسلمين.

معلومات المقالة:

تاريخ المقالة:

قدمت: ٢٠٢١/٠٩/١٢
قبلت: ٢٠٢١/٠٩/١٩
نشرت: ٢٠٢١/١١/٠١

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وارض اللهم عن صحابه الطيبين، ومن اهتدى بهديه، وسلك نهجه إلى يوم الدين.

أولاً: أهمية البحث وأسباب اختياره:

تقوم فكرة البحث على دارسة شهادة منصفة عن الإسلام والمسلمين لمستشرق فرنسي، وهو الكونت "هنري دي كاستري Henry de Castries"، دونها في كتابه: الإسلام: خواطر وسوانح. وقد اخترت من شهادته حديثه عن عدل المسلمين وسماحتهم مع غيرهم، لأن المسلمين يواجهون في يومنا هذا حملة شرسة، تصمهم بالعنف والشدة أو كما يزعمون بالتطرف والإرهاب.

وتكمن أهمية البحث في جانبين:

الجانب الأول: أن المسلمين اليوم بأمس الحاجة إلى أن يدافعوا عن دينهم وأنفسهم، وأن يدفعوا عن أنفسهم تهم العنف والإرهاب، التي وإن كان لها امتدادها التاريخي، إلا أن وسائل الإعلام والتوصل الحديثة ساهمت في بثها على نطاق واسع الغربي، ولهذا فإن موضوع البحث هو موضوع مما تقوم الحاجة إليه في هذا الوقت.

الجانب الثاني: أن موضوع البحث يتناول شهادة مستشرق عاش في بلاد المسلمين، وخبر دينهم وتاريخهم، وعمل فترة من حياته ضابطاً في جيش الاحتلال الفرنسي للجزائر، وأيضاً لم تكن شهادته إعجاباً بالمسلمين أو تأثراً بدينهم، وإنما كانت في سياق النصح والإرشاد لحكومة بلاده، التي لم تستقر لها الأوضاع في الجزائر، فأراد أن يرسم لها طريقاً صحيحاً تتعامل به مع المسلمين، وهذا ما يزيد شهادته أهمية وتميزا.

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع للدراسة فيمكن إجمالها فيما يلي:

١. الإسهام علمياً في بيان الصورة الحقيقية لعدل المسلمين وسماحتهم مع غير المسلمين، عبر دراسة شهادة أحد المستشرقين بذلك.
٢. أن شهادة المستشرق "دي كاستري" التي دونها كتابه: الإسلام خواطر وسوانح لم تنل حظها من العناية والإبراز، وبخاصة فيما يتعلق بعدل المسلمين وسماحتهم مع غيرهم.
٣. أن شهادة المستشرق "دي كاستري" لم تكن في سياق العاطفة أو الإعجاب، وإنما كانت في سياق خدمة حكومة بلاده، الأمر الذي يعطيها تميزاً وأهمية.
٤. أن المستشرق "دي كاستري" تعرض للصورة النمطية السلبية عن الإسلام والمسلمين في الغرب، وانتقدها وسعى لتصحيحها، مما يدفع يدفع إلى العناية العلمية بشهادته.

ولهذا، فأني أرجو وآمل أن يكون هذا البحث إضافة علمية جديدة في موضوع العدل والسماحة في الإسلام، وإسهاماً في تصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين، ومن الله أرجو العون والتوفيق.

ثانياً: الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة علمية تناولت بشكل مستقل شهادة المستشرق "دي كاستري" عن عدل المسلمين وسماحتهم، التي دونها في كتابه: الإسلام خواطر وسوانح، ولم أقف أيضاً على دراسة علمية مستقلة تناولت كتابه هذا بشكل عام، بالرغم من تميزه وأهميته.

ثالثاً: منهج البحث:

سلكت في البحث المنهج التحليلي، الذي يقوم على: التفسير، والنقد، والاستنباط. وقد تجتمع هذه الثلاثة في مبحث واحد أو في مسألة واحدة، وقد أستخدم بعضها فقط في بعض المباحث والمسائل، وذلك بسحب الحاجة العلمية.

رابعاً: خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وبها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد، واشتمل على منزلة العدل والسماحة في الإسلام، وعلى العدل والسماحة في الإسلام مع غير المسلمين.

المبحث الأول: تعريف بالمستشرق هنري دي كاستري، وبكتابه "الإسلام: خواطر وسوانح".

المبحث الثاني: الصورة النمطية لعدل المسلمين وسماحتهم في الفكر الغربي.

المبحث الثالث: شهادة المستشرق هنري دي كاستري على عدل المسلمين وسماحتهم.

المبحث الرابع: دوافع وأسباب شهادة هنري دي كاستري للمسلمين.

المبحث الخامس: صدى شهادة المستشرق هنري دي كاستري في العالم الإسلامي.

الخاتمة: وبها النتائج والتوصيات.

التمهيد:

أولاً: منزلة العدل والسماحة في الإسلام:

العدل ضد الجور، وهو القسط [١]، وهو ركيزة من ركائز الإسلام، فقد جاءت نصوص القرآن والسنة بالأمر به والتأكيد عليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ **(سورة النساء: الآية: ٥٨)**، وقوله جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ **(سورة النساء: الآية: ١٣٥)**، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ ﴾ **(سورة الأنعام: الآية: ١٥٢)**، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ **(سورة النحل: الآية: ٩٠)**.

وأما من السنة النبوية فقال ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا» [٢].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، ...» الحديث [٣].

وقال ﷺ : «أهل الجنة ثلاثة: ذُو سُلطان مقسط مُوفق؛ ورَجل رَحيم رقيق القلب لكل ذِي

قربى ومسلم؛ وعَفيف متعفف ذو عيال» [٤].

وما أمر الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ بالعدل إلا لأنه نظام الحياة وقوامها، وبه تكون كرامة الإنسان التي أرادها الله له، وبضده تنتقص كرامة الإنسان، ولهذا اتفقت جميع الشرائع والعقول على قيمة العدل وأهميته. وهو عند المسلمين كذلك، وأيضاً هو تعبد وقربة يتقرب بها المسلم إلى ربه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العدل نظام كلِّ شيء، فإذا أُقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة» [٥].

وأما السماحة والمسامحة فهي تعني الكرم والمساهلة [٦]، و(سَمَحَ) السِّينُ وَالْمِيمُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى سَلَاسَةٍ وَسُهُولَةٍ [٧]، والسماحة كالعدل ركيزة من ركائز الإسلام وسمة عظيمة من سماته. قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة» [٨]، وقال أيضاً ﷺ: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» [٩]. قال ابن القيم: «فهي حنيفية في التوحيد وعدم الشرك، سمحة في العمل وعدم الآصار والأغلال» [١٠].

وقال ابن حجر: «والسمحة السهلة أي أنها مبنية على السهولة لقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ ﴾ [١١].

وقال الطاهر بن عاشور: «السماحة أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها» [١٢]، وأضاف «السماحة: سهولة المعاملة في اعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل. وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط» [١٣].

وقال الشيخ عطية سالم: «أما السماحة فِي الشَّريعة: فهي صفتهَا الخاصَّة كما في الحديث بعثت بالحنيفية السمحة» [١٤].

ولقد بشَّر رسولنا الكريم ﷺ العادلين والمُقسطين في هذه الدنيا بالفوز والفلاح يوم القيامة، كما في الحديث الذي تقدم عن رسول ﷺ: «إنَّ المقسطين عند الله على منابرَ من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يَعدلون في حُكمهم وأهليهم وما وَلُوا» [١٥].

ولقد كان العدل من أهمِّ بنود رسالته المُشرقة الهادفة إلى نشْر العدالة الاجتماعية بين الناس، يقول ابن القيّم: «فإنَّ الله أرسل رُسله وأنزل كُتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، فإذا ظهَرت أمَارات الحق، وقامَت أدلة العقل، وأسفَر صُبحه بأيِّ طريق كان، فثمَّ شرعُ الله ودينه، ورضاه وأمره، والله تعالى لم يَحصُر طُرق العدل وأدلَّته وأماراته في نوعٍ واحد، وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدلُّ وأظهر، بل بيَّن بما شرَعه من الطرق أنَّ مقصودة إقامة الحق والعدل، وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استُخرِج بها الحق ومعرفة العدل، وجَب الحكم بموجبها ومقتضاها» [١٦].

ثانياً: العدل والسماحة في الإسلام مع غير المسلمين:

جاء دين الإسلام للناس كافة ليكون رحمة لهم، فبعث الله رسول الكريم ﷺ للناس كافة، ليكون رحمة لهم، قال جل في علاه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ **(سورة الأنبياء:**

الآية: ١٠٧)، ولا يمكن للرحمة أن تستقيم وأن تتم من دون عدل وسماحة؛ ولهذا فكما حث الإسلام على العدل والسماحة فيما بين المسلمين، فقد حث أيضاً على ذلك في تعامل المسلمين مع غير المسلمين، باستثناء المحاربين الذين يسعون إلى هدم دين الإسلام ويصدون عنه، وفي هذا يقول محمد الخضر حسين: «إن المسلمين قد استناروا بسماحة دينهم، وتعلموا من آدابه أن يحسنوا معاشرة أصحاب الأديان الأخرى، ممن لا يكيدون لهم كيدًا، ولا يظاهرون عليهم عدوًّا، ويمكنهم أن يعيشوا معهم في صفاء وتعاون» (١٧).

إن أول أمر تتجلى فيه صورة عدل الإسلام وسماحته مع غير المسلمين هو النهي عن إكراههم على دخول الإسلام، حتى وإن كانت الشوكة والغلبة للمسلمين، قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ **(سورة البقرة: الآية: ٢٥٦)**، لأن دين الإسلام بيّن واضح لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه.

وأوجب الله تعالى سلوك العدل مع غير المسلمين، وعدم ظلمهم بسبب شركهم، قال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ **(سورة المائدة: الآية: ٨)**.

ومن صور سماحة الإسلام أنه أمر بالإحسان إلى غير المسلمين الذين لم يُعرف لهم أذية للمسلمين ولا قتالهم؛ كما قال تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾ **(سورة الممتحنة: الآية: ٨)**، بل فوق ذلك، إذ أمر بصلتهم والإنفاق عليهم، فقد روى البخاري في صحيحه عن أَسماء بنت أَبي بكر رضي اللَّهُ عنهما قالت: قَدِمَتْ على أُمِّي وهي مشْركَةٌ في عَهْدِ رسول اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رسول اللَّهِ صلّى اللَّهُ عليه وسلَّم؛ قلْتُ: وهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ» (١٨).

ومن صور سماحة الإسلام أنه حرم التعرض لدور العبادة التي يتعبد فيها غير المسلمين عند نشوب حرب بين المسلمين وغيرهم، وحرم قتل من لم يشارك في تلك الحرب من النساء والأطفال. روى مسلم في صحيحه عَنْ سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا» (١٩).

وفي الوصية بالجار لم يفرق الإسلام بين الجار المسلم وغير المسلم، قال القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾ **(سورة النساء: الآية: ٣٦)**: «الوصية

بالجار مأمور بها مندوب إليها، مسلماً كان أو كافراً، وهو الصحيح. والإحسان قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه» [٢٠].

لقد كان الإحسان المتضمن للعدل والسماحة هو سمة تعامل المسلمين مع غير المسلمين ممن لم يحارب الإسلام، الأمر الذي كان «دافعاً قويًّا للدخول في دين الله تعالى أفواجاً، ويتضح ذلك من مواقف عمرو بن العاص ﷺ، وسائر خلفاء الدولة الإسلامية مع النصارى، ومن مواقف السلطان محمد الفاتح وسلاطين الدولة العثمانية مع رعايا دولتهم من النصارى» [٢١].

ولهذا يمكن القول بأن من أهم العوامل التي شجعت الناس على اعتناق دين الإسلام هو: «المعاملة السمحة الكريمة التي عامل بها الفاتحون المسلمون أبناء البلاد المفتوحة، واحترام آدميتهم وكرامتهم، ولقد تجلت تلك المعاملة لا في نصوص المعاهدات التي نظمت العلاقات بين المسلمين الفاتحين وبين أبناء البلاد المفتوحة الذين فضلوا البقاء على أديانهم فحسب، بل في الوفاء من جانب المسلمين بتلك المعاهدات والالتزام بها بأمانة وشرف» [٢٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العدل والسماحة مع غير المسلمين لا يستلزم مودتهم أو موالاتهم المنهي عنها، فالله تعالى الذي أمر بها جميعاً، ولا تعارض بينها، قال ابن حجر رحمه الله «البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه» [٢٣].

وبعد، فإن سماحة المسلمين وعدلهم مع غيرهم مما شهد به المنصفون من الغربيين، ومنهم المستشرق الفرنسي "هنري دي كاستري"، الذي سأتناول شهادته بالتفصيل في المباحث الآتية، وبالله التوفيق.

المبحث الأول: تعريف بالمستشرق هنري دي كاستري، وبكتابه "الإسلام: خواطر وسوانح":

المطلب الأول: التعريف بالمستشرق الفرنسي هنري دي كاستري:

أسمه: الكونت هنري دي كاستري (Cte.H.de Castries)، وفي بعض المصادر العربية وبخاصة المغربية منها يُكتب اسمه هكذا: "هنري دو كاستري".

مولده: ولد الكونت هنري دي كاستري في باريس عام ١٨٥٠م [٢٤].

أعماله: التحق بالمدرسة العسكرية "سان سير"، ثم عُين ضابطاً في جيش الاحتلال الفرنسي بالجزائر عام ١٨٧٣م، وأسند إليه الإشراف على الأراضي الصحراوية المتاخمة للحدود المغربية، وقيادة مجموعة من الفرسان المسلمين المجندين بالجيش الفرنسي [٢٥]، وبدأ حينها في تعلم اللغة العربية ومخالطة السكان ودراسة البيئات المحلية وعادات الناس وتقاليدهم، واشتغل أيضاً برسم الخرائط لنواحٍ مغربية، ثم عمل بطلب من الحكومة الفرنسية عام ١٨٨٧م على رسم خريطة للمغرب [٢٦].

وخدم الكونت هنري دي كاستري حكومة بلاده أيضاً بما قدمه من دراسات وأبحاث عن المغرب العربي، حيث ساعدها ذلك على توسعة استعمارها وبسط نفوذها، ومن ذلك على سبيل المثال تلك الخريطة التي رسمها "دي كاستري" للمغرب الأقصى، الذي كان هدفاً ومطمعاً للفرنسيين وقتئذ. وفي هذا يقول عبد القادر الخلادي: «كان دو كاستر أحد هؤلاء الرجال الذين عملوا بجد وصبر لصالح الاستعمار الفرنسي بالجزائر والمغرب وقدم لبلاده خدمات جلى بما قام به من دراسات

وأبحاث في مجالات علمية مختلفة، واشتهر بما قام به من دراسات وأبحاث في مجالات علمية مختلفة، واشتهر بوجه خاص بما وضعه من خرائط جغرافية وما اكتشفه من وثائق تاريخية في المكتبات والخزانات الغربية الرسمية، في فرنسا وإسبانيا وهولندا وإنكلترا ... الخ. وبدأ ينشرها بالتوالي وبمساعدة الاستاذ دوسينفال في مجموعة تحت عنوان: "مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب الأقصى» [٢٧]، وأضاف الخلادي: «فالكونت دو كاستر قضى إذن أكثر من خمسين سنة في البحث والتنقيب ووضع الخرائط ودراسة الظواهر الاجتماعية والنظم السياسية والوثائق التاريخية، وكل ذلك بصفته ضابطاً مستعرباً ملحقاً بمصالح الشؤون الأهلية» [٢٨].

آثاره العلمية: من آثار المستشرق دي كاستري العلمية: الأشراف السعديون، ومصك النقود المحمدية"، وأسئلة الصحراء، وإرشادات حول منطقة ودي درعة، وغيرها من الكتب والأبحاث [٢٩].

شهرته: نال المستشرق "هنري دي كاستري" شهرة وتقديراً في المغرب الأقصى ولُقِب بالمؤرخ الكبير، وذلك بسبب مشروعة عن تاريخ المغرب الأقصى، الذي تقوم فكرته على جمع الوثائق الرسمية التي تخص المغرب الأقصى المودعة في خزائن المكتبات ودور المحفوظات الفرنسية والأوروبية، وبدأ "دي كاستري" مشروعة هذا في باريس، وأصدر أول جزء منه سنة ١٩٠٥م تحت اسم "مصادر غير منشورة من تاريخ المغرب الأقصى". وأتم منه خمسة عشر جزءا [٣٠].

وقد ترجم له عبد السلام ابن سوده في كتابه "إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع"، وقال في ترجمته: «وفي حادي عشر قعدة، موافق ثالث عشر ماي سنة ١٩٢٧م توفي الكونت هنري دوكاستري الفرنساوي، الكاتب الشهير والمؤرخ الكبير. كانت ولادته بباريس في ٢٨ دجنبر سنة ١٨٥٠ ومنذ نشأته اعتنى بالشؤون الإسلامية وخاصة تاريخ الشمال الافريقي، وألف في ذلك تاريخه الشهير باللغة الفرنسية الذي سماه المصادر الغير المنشورة لتاريخ المغرب في أحد عشر سفرا، وهو مصدر أساسي للباحثين والمتطلعين، وتمنيت لو قام أحد بترجمته إلى العربية، وله غير ذلك من التآليف والأبحاث» [٣١].

ووصفه ابن زيدان في كتابه عن تاريخ مكناس في عدة مواضع بالمؤرخ الفرنسي الشهير [٣٢].

وفي الغرب أيضاً نال "دي كاستري" شهرة بسبب اهتمامه بتاريخ المغرب، ولقِب بـ "مؤرخ المغرب"، وبخاصة بعد أن أنشأ في باريس معهد التاريخ المغربي عام ١٩١٧م [٣٣].

وأما شهرة "هنري دي كاستري" في المشرق العربي فقد جاءت بعد أن ترجم أحمد فتحي زغلول كتاب "دي كاستري": الإسلام خواطر وسوانح، وذلك عام ١٨٩٨م، حيث لقي الكتاب قبولاً وانتشاراً، لما تضمنه من إنصاف للإسلام والمسلمين، فذاع صيت الكتاب وكاتبه، كما سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل في المبحث الخامس.

وفاته: توفي دي كاستري في باريس سنة ١٩٢٧م [٣٤].

وأشير هنا إلى أن "دي كاستري" وصف نفسه بالمستعرب، كما صرح بذلك في مقدمة كتابه "الإسلام خواطر وسوانح"، ثم قال بأن المستعربين هم الذين «يعيشون مع المسلمين، ويفقهون غور أفكارهم، ويعلمون حقيقة معيشتهم، وكنه ديانتهم، معرفةً لا تحصل لأحد في غير تلك البلاد. وبهذا

يرون أن لهم الحق في أن يكتبوا عن الإسلام كالمستشرقين» [٣٥]، ثم يقول بعد ذلك: «ولقد رأيت من الواجب، أن أبيّن الصفات التي تُخولُني حقّ الكتابة عن الإسلام قبل أن أنشر كتابي هذا: أنا عاشرت العرب أزماناً طوالا، واشتغلت كثيراً بمعرفة حقيقة طباع الشرقيين، ومذهبي مذهب مستعربي الجزائر. ولذلك أسأل المستشرقين ذوي الاعتبار عفواً وليناً، وأطلب منهم قبل كل شيء أن لا يجمعوا بيني وبين أولئك الذين يميلون للعرب؛ فيكتبون عن الإسلام ما تلقوه أثناء سياحة قصيرة، فجاء قولهم قولاً شعرياً، ...» [٣٦].

وعلى كل حال فهذا التفريق الذي ذكره "دي كاستري" بين المستشرق والمستعرب لا أثر له في الواقع بالنسبة لنا نحن المسلمين، ولذلك لا تكاد تجد لهذا التفريق أثراً عند الباحثين في الاستشراق، فكل من اشتغل بالشرق، دراسة وبحثاً وتأليفاً فهو مستشرق، سواء أقام في بلاد المسلمين أم لا.

وأختم هذا المطلب بالتأكيد على أن المستشرق "الكونت هنري دي كاستري" عاش مسيحياً ومات مسيحياً، وأن بواعثه في تأليفه لكتاب "الإسلام خواطر وسوانح" تأتي في سياق خدمته لحكومته الفرنسية والنصح لها. وهذا ما سأتناوله بالتفصيل في المبحث الرابع.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الإسلام خوطر وسوانح:

أولاً: صدور كتاب الإسلام خواطر وسوانح:

صدرت النسخة الأولى من كتاب "هنري دي كاستري" الإسلام خواطر وسوانح في باريس عام ١٨٩٦م، باللغة الفرنسية، تحت اسم: L'Islam: impressions et études، في ٣٦٠ صفحة. ولم أعثر على طبعة أخرى للكتاب بغير اللغة الفرنسية.

ثانياً: ترجمته إلى اللغة العربية:

صدرت النسخة العربية من كتاب "هنري دي كاستري" الإسلام خواطر وسوانح عام ١٣١٥هـ الموافق لـ ١٨٩٨م، وطبعته دار المعارف بالقاهرة، في (١٩٢) صفحة، وأعادت طباعته أيضاً في عام ١٣٢٩هـ-١٩١١م، في (١٦٩) صفحة [٣٧].

وقد قام بترجمته إلى اللغة العربية أحمد فتحي زغلول [٣٨]، وكتب في مقدمة ترجمته للكتاب: «عثرت على كتاب فرنسي، ألفه الكونت هنري دي كاستري، في الدين الإسلامي، سنة ١٨٩٦م ولما فرغت من قراءته، وجدتني منساقاً إلى ترجمته، فلم يدركني ملل ولا نصب، حتى أتيت على آخر الكتاب» [٣٩].

وأحمد فتحي زغلول يُعد من رواد الترجمة في مصر، ولذلك جاءت ترجمته لكتاب "دي كاستري" بشكل عام دقيقة في معانيها سليمة وراقية في لغتها.

ويؤخذ على ترجمته عدم تعليقه على المواطن التي أخطأ فيها "دي كاستري"، ولم تخلوا كذلك من بعض الأخطاء التي تعتري أي عمل بشري، كخطئه في ترجمة وهران إلى حوران، وزرقون إلى زرقوم، والسوقر إلى سجير، وهي مناطق معروفة في الجزائر [٤٠].

وأما طباعة كتاب "الإسلام خواطر وسوانح" ونشره فقد أعيد طبعه بعد ذلك مرات عديدة حتى يومنا هذا، ومن تلك الطبعات على سبيل المثال:

١. طبعت دار الشعب، عام ١٣٢٩هـ-١٩١١م.

٢. طبعت مكتبة السعادة، القاهرة، عام ١٩٢٠م، بتصحيح عبد الرحمن البرقوقي.

٣. طبعت المشروع القومي للترجمة بمصر، عام ٢٠٠٥م.

٤. طبعت مكتبة النافذة بمصر، عام ٢٠٠٨م، واعتنى بها وعلق عليها الدكتور محمود النجيري.

وقد اعتمدت في هذا البحث على نسخة مكتبة النافذة؛ كونها متأخرة وزاخرة بتعليقات مفيدة للدكتور محمود النجيري، وأما من حيث الترجمة فلا فرق بين جميع الطبعات.

ثالثاً: محتويات الكتاب:

يتألف كتاب "الإسلام خواطر وسوانح" من مقدمة وسبعة فصول وخاتمة وسبعة ملحقات. وفيما يلي نبذة عن هذه المحتويات:

المقدمة: وبدأها دي كاستري بإيراد صورة جميلة من حياته مع المسلمين بين فيها إعجابه بهم. ثم أتبعها بما يشبه الرسالة إلى علماء الاستشراق يوضح فيها مؤهلاته للكتابة عن الإسلام، وقد نقلت طرفاً منها في المطلب الأول، ثم بين بجلاء بأنه لا يقصد بكتابه تمجيد الإسلام، حيث قائل: «فلست أقصد بكتابي هذا أن أمجد الإسلام» [٤١] وإنما «أردت التنبيه إلى بعض أغلاط غلطت بالأفكار عندنا، من حيث النبي العربي، ودينه الإسلامي» [٤٢].

الفصل الأول: وعنوانه "صدق محمد ﷺ": وفيه أورد المؤلف صورة نبينا الكريم ﷺ المنكرة لدى المسحيين وانتقدها، وبين اعتقاد المسلمين في نبيهم ﷺ، وتميز هذا الفصل بالنقل عن كتب علماء المسلمين، كابن كثير وغيره، رحمهم الله جميعا.

الفصل الثاني: وعنوانه "الإسلام في زمن الفتح ومدة حكم العرب": وتحدث في هذا الفصل بصورة منصفة عن رحمة المسلمين في فتوحاتهم وزمن حكمهم، وقارنها في ذات الوقت ببربرية النصارى.

الفصل الثالث: وعنوانه "تعدد الزوجات": وأراد في هذا الفصل أن يثبت بأن تعدد الزوجات لم يكن وسيلة لنشر الإسلام، كما يروج المسيحيون لذلك.

الفصل الرابع: وعنوانه "جنات المسلمين": وأرد فيه أن يثبت للغربيين أن نبينا ﷺ لم يتخذ الترغيب بما في الجنان لنشر الإسلام، وقارن بين نظرة الشرقيين والغربيين إلى الآخرة.

الفصل الخامس: وعنوانه "القضاء والقدر": وأراد فيه بيان مفهوم القدر عند المسلمين، والرد على اتهامهم بالاستسلام للقدر.

الفصل السادس: وعنوانه "انتشار الإسلام أيام الفتوحات العربية": وأراد به بيان حقيقة انتشار الإسلام، وأن انتشاره -كما قال- لو كان بالعنف والإجبار للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين.

الفصل السابع: وعنوانه "الإسلام في الجزائر": وفيه تحدث عن المسلمين في الجزائر وأسباب فشل تنصيرهم وإخضاعهم، بالرغم من مرور خمسين عاماً آنذاك على احتلال الجزائر.

الخاتمة: وبها وجه دي كاستري نصائحه وتوصياته للمستعمر الفرنسي في كيفية التعامل مع

المسلمين.

الملحقات: وعددها سبعة ملاحق، وأرد بها تعزيز آرائه التي نثرها في فصول الكتاب، والاستشهاد لها. والملاحق هي:

الملحق الأول: وعنوانه "أفكار المسيحيين في القرون الوسطى عن النبي (ﷺ) والإسلام كتاب البابا بي الثاني إلى السلطان محمد الثاني".

الملحق الثاني: وعنوانه "كتاب سان أوغسطين إلى الكونت بونيفاس".

الملحق الثالث: وعنوانه "مقابلة بين الصيغة التي يقولها مسيحي يعتنق الإسلام، والتي يقولها مسلم يتنصر".

الملحق الرابع: وعنوانه "قتلى مراكش مقابلة القديس فراسوا داسيز مع سلطان مصر في معسكر دمياط ١٢١٦م".

الملحق الخامس: وعنوانه "تعدد الزوجات في الإسلام".

الملحق السادس: وعنوانه "مقدمة الشيخ الشعراني".

الملحق السابع: وعنوانه "البشارة بمحمد ﷺ في الكتاب المقدس".

وبعد، فإن بين ثنايا هذا الكتاب من الحق والعدل والإنصاف ما يستحق الثناء والإشادة، وبينها كذلك من الأخطاء والتجاوزات ما يستحق المناقشة والرد بعدل وإنصاف، وسأناقش في هذا البحث فقط ما له علاقة بموضوعه. وبالله التوفيق.

المبحث الثاني: الصورة النمطية لعدل المسلمين وسماحتهم في الفكر الغربي:

أولاً: معنى الصورة النمطية:

الصورة النمطية أو الذهنية كما يعرفها الدكتور عبد العزيز العسكر: «هي الأفكار التي تتكون في عقول ووجدان الجماهير تجاه قضية أو شخص أو منظمة أو فكرة وهي تتبادر إلى الأذهان عند ذكر اسمها لتعطي مفهوماً معيناً عنها قد يكون طيباً أو سيئاً وتتكون هذه الصورة مما يستقيه الفرد من وسائل الإعلام وما يكتسبه من معلومات ومعارف وخبرات حول القضايا أو الأفكار أو المنظمات أو الأفراد» (٤٣).

ويرى الدكتور علي عجوة أن الصورة الذهنية هي: «النتاج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتولد عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام ما أو شعب أو جنس بعينه أو منشأة أو مؤسسة أو منظمة محلية أو دولية أو مهنية معينة أو أي شيء آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان» (٤٤).

وتتعدد المصطلحات المستخدمة للتعبير عن "الصورة النمطية" سواء في اللغة العربية أو في اللغة الإنجليزية، ففي اللغة العربية نجد مصطلحات "الصورة"، و"الصورة الذهنية"، و"التعميمات النمطية"، و"القوالب النمطية الجامدة"، وغيرها.

وفي اللغة الإنجليزية توجد أيضاً مصطلحات عديدة أبرزها: "The Image"، و"Stereotype"، و"Tabloid Thinking"، وغيرها (٤٥).

ومن هنا يمكننا القول بشكل عام بأن الصورة النمطية للمسلمين في الغرب تعني الصورة الذهنية التي ارتسمت في عقول ووجدان الغربيين بشكل عام تجاه المسلمين. وأما ماهي هذه الصورة؟ ومَنْ رسمها؟ فهذا ما سيتم تناوله في المسألة الآتي.

ثانياً: الصورة النمطية للمسلمين في الفكر الغربي كما بينها "دي كاستري":

بالرغم من مكانة العدل والسماحة في الإسلام مع المسلم وغير المسلم، وبالرغم من الشواهد التاريخية الكثيرة على عدل المسلمين وسماحتهم مع غيرهم وقد بيَّنت طرفاً منها في التمهيد، إلا أن الإسلام والمسلمين كانا ولا يزالان محط التشويه والانتقاص والاتهام في الفكر الغربي، قديماً وحديثاً، وأبرز من تولى كِبر ذلك هم رجال الكنيسة والمستشرقون، إذ نسجوا في ذهنية الشعوب الغربية صورة وحشية همجية عن الإسلام والمسلمين، وباتت إثر ذلك هي الصورة النمطية في الفكر الغربي، ليس عن عدل المسلمين وسماحتهم وحسب، وإنما عن الإسلام والمسلمين بشكل عام.

وقد أكد على هذه الصورة النمطية "دي كاستري" في مقدمة "الإسلام خواطر وسوانح" قائلاً: «أردت التنبيه إلى بعض اغلاط، علقت بالأفكار عندنا، من حيث النبي العربي، ودينه الإسلامي. وهو عمل شاق، وموقف حرج؛ إذ من المعلوم كما قيل: إنه لا يرسخ في الاعتقاد، أكثر من خطأ الاعتقاد» [٤٦].

ثم أفاض "دي كاستري" في ذكر كمٍ كبيرٍ من تلك الافتراءات التي بثها رجال الكنيسة والمستشرقون عن الإسلام والمسلمين، التي أخذت شكل أكاذيب على رسولنا الكريم ﷺ وعلى المسلمين، أو على شكل أشعار وأغان وأقاصيص من السهل أن تعلق في ذهن المستمع، إلى غير ذلك من أشكال البهتان على الإسلام والمسلمين.

وفي هذا الجانب يقول "دي كاستري": «ولست أدري، ما الذي يقوله المسلمون لو علموا أقاصيص القرون الوسطى، وفهموا ما كان يأتي في أغاني القُوَّال من المسيحيين! فجميع أغانينا حتى التي ظهرت قبل القرن الثاني عشر صادرة عن فكر واحد، كان السبب في الحروب الصليبية. وكلها محشوة بالحقد على المسلمين؛ للجهل الكلي بديانتهم» [٤٧]، وقال أيضاً: «لقد أطلنا القول في تلك الأضاليل؛ لأن تاريخ "اسكندر" المذكور لم يُزلها؛ ولأنها تركت أثراً في الأذهان، وصل إلى هذه الأيام، وتشبَّعت به أفكارهم في النبي (ﷺ) وكتابه» [٤٨].

وبين "دي كاستري" بأن الأمر في هذه الأكاذيب لم يقف عند رجال الدين والمستشرقين بل تعداهم إلى المؤرخين والعلماء، الذين يُفترض فيهم الدقة والموضوعية، فقال: «وإذا انتقلنا من شعراء القرون الوسطى إلى من جاء بعدهم من المؤرخين والمتكلمين (الباحثين في علم التوحيد)، الذين يظهر من كتبهم في ذلك الزمن، أنهم ميالون إلى الاعتدال، وجدنا مؤلفاتهم محشوة بتلك الأقاصيص الخرافية، مملوءة بالطعن والشتم في نبي المسلمين. وكان المصلحون (وهم البروتستانت أيام دعوتهم لإصلاح الدين المسيحي) أشد تعصباً ضده من غيرهم، فقد اعتنى "بيبلياندر" بتشبيه محمد بالشيطان، وعاملوا كتابه وشرعه كما عاملوه» [٤٩]، ثم علق على سبب وقوع المؤرخين في هذا التضليل قائلاً: «أولئك كُتاب ما قصدوا التاريخ، ولكنهم أرادوا خدمة

المقصد المسيحي الحكيم كما يقولون. وكان سلاحهم الوحيد في تأييد سواقط حججهم، أن يُشبعوا خصمهم سباً وشتماً، وأن يحرِّفوا في النقل مهما استطاعوا» [٥٠].

ثم بعد ذلك بيَّن "دي كاستري" أثر هذه الخرافات على ذهنية الشعوب الغربية، فقال بأن الغربيين «ظلوا يعتقدون الخرافات في النبي (ﷺ)، وقرآنه، وكان رؤساؤهم الروحانيون يجتهدون دائماً في تأييدها وتمكينها من الأذهان. وهي سياسة جعلت الناس عندنا يهزؤون بالدين الإسلامي، وأغنت الباباوات عن حربه حرباً صحيحة» [٥١].

وقد جعل "دي كاستري" موضوع المحلق الأول في كتابه عن هذه الافتراءات، وسماه "أفكار المسيحيين في القرون الوسطى عن النبي (ﷺ) والدين الإسلامي"، وقال في مطلعه: «لو أردنا أن نكتب كل شيء في هذا الموضوع، لوجب أن ننشئ باباً مطولاً؛ حتى نوفيه حقه؛ لأنه مع أهميته، لم يلتفت إليه أحدٌ من الكتاب» [٥٢]، ثم قال بعد ذلك: «ولست أريد أن أبيِّن في هذا الموضع، ما كان الناس يعتقدون فيما نسبوه إلى المسلمين من التماثيل والأوثان، مثل: "ماهومد"، و"أبللون"، و"ترافاجان"، و"نوران"، و"مارجو"، وغيرها. وإنما أردتُ أن أجمع بعض ما كُتب في تلك الأزمان من المقتطفات، التي يقف القارئ بواسطتها على أفكار أجدادنا في الإسلام ونبيه ﷺ» [٥٣].

هذا، ولم يكتفي "دي كاستري" بإيراد هذه الافتراءات والأغاليط من دون مناقشة، فقد حاول جاهداً مناقشة أبرزها وبيان بطلانه، ودليل ذلك أنه حصر أبرزها في فصول ليسهل عليها عرضها ونقدها. وهذه بعض الأمثلة على تلك المفتريات:

المثال الأول: جعل الحديث عن نبينا محمد ﷺ في فصل مستقل سماه "صدق محمد ﷺ". وفيه أورد العديد من المفتريات على الوحي وعلى صدق نبينا ﷺ، وأوردها على أنها كاذبة، وناقش بعضها. وهو في هذا كله لم ينسلخ من نصرانيته، بل حاول أن يسير سير المنصف في تناوله لنبينا ﷺ، فنجده على سبيل المثال في سياق إيراده للأغاليط (كما يصفها) عن نبينا ﷺ وكتابه ورده عليها يقول بعد دفاعه عن صدق نبينا ﷺ: «ومعلوم أنه لا ارتباط بين هذه المسألة، وبين كون القرآن كتاباً منزلاً من عند الله» [٥٤].

المثال الثاني: جعل "دي كاستري" مسألة تعدد الزوجات في الإسلام في فصل مستقل سماه "تعدد الزوجات"، وأراد به إثبات أن تعدد الزوجات في الإسلام لم يكن وسيلة لنشر الإسلام، كما يزعم المفترون، ولذلك قال في آخر هذا الفصل: «ولقد أطلنا الشرح، فخرجنا عن الموضوع، ووضحنا أخلاق المسلمين، ذلك أننا نعتقد أن ما قدمناه برهانٌ قاطع على أن تعدد الزوجات لم يُتخذ، ولم يكن ليُتخذ مشجعاً على انتشار ديانة الإسلام» [٥٥].

المثال الثالث: جعل "دي كاستري" الحديث عن انتشار الإسلام في فصل مستقل سماه "انتشار الإسلام أيام الفتوحات الإسلامية". وأراد فيه أيضاً أن يبين أسباب انتشار الإسلام، راداً على مفتريات المسيحين حول أسباب انتشار الإسلام، وأبرزها فرية الانتشار بحد الحسام، وقال في هذا: «لو كان دين محمد (ﷺ) انتشر بالعنف والإجبار، للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين، مع إننا لا نزال نرى القرآن يبسط جناحيه في جميع أنحاء المسكونة» [٥٦].

وتجدر الإشارة هنا إلى جملة من الأمور، هي:

أولاً: أن "دي كاستري" في إيراده للمفتريات عن الإسلام والمسلمين وتكذيبه لها لم يقف موقف المدافع عن الإسلام، ولم يزعم ذلك، بل انطلق من حرصه على تصحيح مسار قومه في تعاملهم مع المسلمين، وبخاصة الفرنسيين في مستعمرتهم آنذاك: الجزائر.

ثانياً: أن "دي كاستري" في نقاشه لبعض المفتريات عن الإسلام وقع أيضاً في بعض الأخطاء والتجاوزات التي ليست من الإسلام، كزعمه الباطل الذي أوردته آنفاً في المثال الأول، وكزعمه وهو في معرض تفنيد فرية أن تعدد الزوجات كانت وسيلة لنشر الإسلام بأن تعدد الزوجات أدى إلى عدم إعظام ديانة الإسلام، حيث قال: «ومع هذا كله، فإن تعدد الزوجات، أوجبَ عدم إعظام الديانة الإسلامية، حتى أن المتنورين من المسلمين أنفسهم شاعرون بهذا» (٥٧)، وكزعمه كذلك بأن الإسلام في مبدأ ظهوره لم يجد فيه الناس تساهلاً ولا لينا، إذ قال: «ولقد كان يتعذر أن يلاقي الناس تساهلاً ولينا من الإسلام في مبدأ ظهوره، لما في ذلك من المخالفة لثورة الدين في نفس محمد (ﷺ) وأصحابه الأولين» (٥٨)، ويكفينا رداً على هذه الفرية قول الحق تبارك وتعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ **(سورة آل عمران: الآية: ١٥٩).**

وبما أن الرد على هذه الأخطاء وغيرها مما وقع فيه "دي كاستري" ليست مقصداً للبحث، فقد اكتفيت بالإشارة إليها فقط خشية الإطالة.

ثالثاً: أن "دي كاستري" في رده على بعض المفتريات رجع إلى مصادر المسلمين أنفسهم، وهذا ما يؤكد سعيه لتحقيق الموضوعية والإنصاف في حديثه عن دين الإسلام، وهذا ما تحقق بشكل عام في كتابه. وأبرز مثال على ذلك استشهاده بآيات القرآن الكريم وبالحديث النبوي الشريف، واعتماده كذلك على ما كتبه علماء المسلمين في عدة مسائل، كقصة وفاة نبينا محمد ﷺ، التي نسج حولها الأفاكون من الغربيين أكاذيب ومفتريات وصفها "دي كاستري" بأنها «جريمة لا تغتفر» (٥٩)، وكان رده عليها بإيرادها من مصادر المسلمين أنفسهم (٦٠).

رابعاً: أن الصورة الذهنية النمطية التي رسمها رجال الكنيسة والمستشرقون وغيرهم من أعداء الإسلام ما هي في أسلوبها وغايتها إلا امتداد لما وقع على نبينا ﷺ وعلى أصحابه رضوان الله عليهم من أذى ومحاربة، فقد اتخذ المشركون أسلوب التجني على رسولنا الكريم ﷺ وعلى أصحابه الكرام طريقاً لصد الناس عن الدخول في الإسلام، فوصفوه عليه أفضل الصلاة والسلام بالساحر والكاهن والمجنون، إلى غيرها من الأوصاف التي رأوا فيها تنفيراً للناس عنه وعن دين الإسلام، ولم يسلم كذلك صحابته الكرام من ألسنتهم وأذاهم، ولكن الله تعالى أتم نوره، ونصر نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام، وأعز صحبه الكرام، رضي الله عنهم أجمعين.

وأما في يومنا هذا، الذي بات الإعلام بأدواته المتنوعة هو الوسيلة الأولى في توجيه أفكار الناس، فإن العديد من وسائل الإعلام الغربية تمارس دوراً فاعلاً في تعزيز الصورة السلبية النمطية عن الإسلام والمسلمين، وتستخدم في ذلك أوصافاً حديثة تعزز تلك الصورة، كالتشدد والتطرف

والعنف والإرهاب، ونحوها من الأوصاف، وفي هذا يقول أيمن ندا: «فأبعاد صورة العرب لم تختلف باختلاف المراحل التاريخية، وقد يكون هناك بعض التغيرات، ولكنها تغيرات في الشكل لا في المضمون، في الكأس لا في الشراب، في الإطار الذي يحوي الصورة لا في الصورة نفسها» (٦١).

وبعد، فيمكن التأكيد على أن الصورة النمطية لعدل المسلمين وإحسانهم في الفكر الغربي ما هي إلا جزء من صورة نمطية سلبية كبرى عن الإسلام والمسلمين تكونت في الذهنية الغربية.

ومن هنا فإن حديث "دي كاستري" بين ثنايا كتابه "الإسلام خواطر وسوانح" عن عدل المسلمين وسماحتهم مع غيرهم يأتي مغايراً تماماً لتلك الصورة الذهنية العامة في الفكر الغربي، وهنا تكمن قيمة وأهمية كتابه.

المبحث الثالث: شهادة المستشرق هنري دي كاستري على عدل المسلمين وإحسانهم:

تتجلى شهادة المستشرق "دي كاستري" على عدل المسلمين وسماحتهم مع غيرهم في عدة مواضع من كتابه "الإسلام خواطر وسوانح"، وفيما يلي بيانها بالتفصيل:

أولاً: مقارنة "دي كاستري" بين سماحة المسلمين وعدلهم زمن فتوحاتهم وبين قسوة المسيحيين:

قارن "دي كاستري" في الفصل الثاني الذي سماه (الإسلام في زمن الفتح ومدة حكم العرب) بشكل مفصل بين قسوة المسيحين بعد فتوحاتهم وبين رحمة المسلمين ومسالمتهم، ومما أورده من أمثلة رسالة القديس "أوغستين" إلى الكونت "بونيفاس" يشير عليه باستعمال القوة لردع أهل البدع من المسيحيين وردهم بالقوة إلى النصرانية، وبأن اضطهاد الأشرار لردهم إلى طريق الخير أكبر معروف يُصنع بهم، ثم أخذ يشرح في رسالته أن الاضطهاد عدل وظلم، فهو عدل من الأتقياء ضد الأشقياء، وظلم من هؤلاء على الأولين (٦٢).

ثم شرع "دي كاستري" في الحديث عن سماحة المسلمين قائلاً: «بعد أن دانت العرب، وآمنت بالقرآن، واستنارت القلوب بنور الدين الحنيف، برز المسلمون في ثوب جديد أمام أهل الأرض قاطبة، وهو المسالمة وحرية الأفكار في المعاملات، وتتابعت آيات القرآن: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ **(سورة البقرة: الآية: ٢٥٦)**، ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ﴾ **(سورة الأنعام: الآية: ١٠٨)**، ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ **(سورة المزمل: الآية: ١٠)**، ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ ﴾ **(سورة الفرقان: الآية: ٦٣)**. هكذا كانت تعاليم النبي (ﷺ) بعد إسلام العرب. وقد اقتفى أثره فيها الخلفاء من بعده. وذلك يحملنا على القول كما قال روبنسون: "إن شيعة محمد هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة، ومحبة انتشار دينهم. وهذه المحبة التي دفعت العرب في طريق الفتح. وهو سبب لا حرج فيه، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة، إذ أغاروا على الشام، وساروا سير الصواعق إلى أفريقيا الشمالية، من البحر الأحمر، إلى المحيط الأطلنطي. ولم يتركوا أثراً للعسف» (٦٣).

ثم قابل "دي كستري" بين توجيه الإسلام لقادته الفاتحين وبين ما هو موجود في التوراة المحرفة، قائلاً: «ومما يحسن هنا أن نقابل بين أوامر أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وبين تعاليم الكتاب

الخامس من التوراة، فيما يتعلق بحصار المدائن، ومعاملة الكلدانيين. فقال: "إذا اقتربت من مدينة لتحاصرها، فأعرض عليهم الأمان. فإن قبلته، فقد سلم كل من فيها. وإن أبت، وبادأتك بالعدوان، فشدد عليهم الحصار. ومتى وفقك الله للظفر بها، فحطم رأس كل ذكر بحد الحسام"» [٦٤].

وبعد أن تحدث "دي كاستري" عن سماحة المسلمين زمن فتوحاتهم ذكر أيضاً عدلهم، قائلاً: «ولانتشار الإسلام، ورضوخ الأمم لسلطانه، سببٌ آخر في هاتين القارتين: آسيا، وشمال أفريقيا، هو استبداد القسطنطينية [٦٥]. فإنه قد بلغ منتهى العسف، ووصل جَوْر الحُكام إلى درجة أزهقت النفوس. فلما جاء الإسلام، تراموا إليه هرباً من الضرائب الفادحة، واستلاب الأموال؛ لأنه كلما أسلمت عشيرة رُفع عنها أثقال المغارم، ورُدَّ إليها مالها المسلوب. ومَن لم يقبل شريعة القرآن، عوملَ هذه المعاملة عينها بلا قيد، غير أداء الجزية، وكانت شيئاً يسيراً (العشر)، أو جزءاً من اثني عشر. وبذلك آمنوا في ظل الدين الجديد، ولم يتعرض إليهم أحد من دعاته في دينهم، ولم يُفرَّق بين أصليٍّ في المسيحية، ومنشقٍ عنها. وهذه المعاملة هي التي جاء بها القرآن، وجرى عليها الخلفاء الأولون، فكان اليهود والمسيحيون يسمون أهل الذمة» [٦٦].

ثانياً: مقارنة "دي كاستري" سماحة المسلمين وعدلهم بعد استقرار حكومتهم مع ما وقع من المسيحيين:

امتثل المسلمون بعد فتوحاتهم لأحكام دينهم في تعاملهم مع أهل الكتاب الذين يعيشون في ديار المسلمين، فلم يجبروا أحداً على الإسلام، ولم يظلموهم في أنفسهم ولا في أموالهم، حتى في البلدان التي فتحها المسلمون.

هذا الواقع شهد له "دي كاستري" بقوله: «وإذا انتقلنا من الفتح الأول للإسلام، إلى استقرار حكومته استقراراً منظماً رأيناه أكثر محاسنة، وأنعمَ ملمساً بين مسيحيّ الشرق على الإطلاق. فما عارضَ العربُ أبداً شعائر الدين المسيحي» [٦٧]، وأضاف بأن المسلمين لم يمنعوا التواصل بين روما ومسيحي الشرق، وضرب لذلك مثالاً وهو أنه «في سنة (١٠٥٣ م)، كتب البابا ليون التاسع إلى مسيحي أفريقيا، يوصيهم باتخاذ أسقف "قرطاجة" مطراناً عاماً بينهم» [٦٨]. ثم تحدث عن عدل المسلمين مع المسيحين إلى درجة أن يتحاكم المسيحيون فيما بينهم لدى المسلمين، فقال: «وكان الوئام مستحكماً بين المسلمين والمسيحيين، حتى أن "غرغيريوس" السابع كتب إلى المسيحين يلومهم على المحاكمة مع أسقفهم أمام المسلمين. وكان ذلك في ٥ سبتمبر ١٠٧٣م» [٦٩].

ثم ذكر "دي كاستري" ما أدت إليه هذه الصورة المشرقة من سماحة المسلمين وعدلهم مع غيرهم قائلاً: «ومع هذه المسالمة العظيمة من جانب المنتصر إلى المغلوب، ضعفت الديانة النصرانية جداً، ثم زالت بالمرة من شمال أفريقيا» [٧٠].

ثالثاً: حديث "دي كاستري" عن سماحة المسلمين مع نصارى الأندلس:

لم يغفل "دي كاستري" الحديث عن الأندلس التي تجلت فيها أعظم صور سماحة الإسلام مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون في الأندلس زمن حكم المسلمين لها، فقال: «ولقد زادت محاسنة المسلمين للمسيحيين في بلاد الأندلس، حتى صاروا في حالة أهنأ من

التي كانوا عليها أيام خضوعهم لحكم قدماء الجرمانيين، الذين يقال لهم "فزيجو» [٧١]، وأضاف: «وتولد عن هذه السياسة الرحيمة انحياز عقلاء الأمة الأندلسية إلى المسلمين، وحصل بينهم زواج كثير. وكم من أندلسي بقي على دينه! ولكن أعجبته طلاوة التمدن العربي، فتعلم اللغة العربية وآدابها، وصار القسس يلومونهم على ترك ألحان الكنسية، والتعلق بأشعار الظافرين. وكانت حرية الأديان بالغة منتهاها. لذلك لما اضطهدت أوروبا اليهود لجئوا إلى خلفاء الأندلس في "قرطبة"، لكن لما دخل الملك "كارلوس" في سرقسطة، أمر جنوده بهدم جميع معابد اليهود، ومساجد المسلمين. ونحن نعلم: أن المسيحيين أيام الحروب الصليبية ما دخلوا بلاداً إلا وأعملوا السيف في يهودها ومسلميها، وذلك يؤيد أن اليهود إنما وجدوا مُجيراً وملجأ في الإسلام. فإن كانت لهم باقية حتى الآن، فالفضل فيها راجع إلى محاسنة المسلمين ولين جانبهم» [٧٢]

وأضاف واصفاً تعامل المسلمين مع المسيحين فقال: «وأنا قد قرأت التاريخ، وكان رأيي بعد ذلك أن معاملة المسلمين للمسيحيين تدل على ترفع عن الغلظة في المعاشرة، وعلى حسن مسايرة، ولطف مجاملة. وهو إحساس لم يُشاهد في غير المسلمين إذ ذاك» [٧٣].

رابعاً: مقارنة "دي كاستري" بين دخول عمر بن الخطاب ﷺ القدس ودخول النصارى إليها:

كان "دي كاستري" يدرك مدى استحكام الصورة الذهنية لدى الغربيين حول قسوة المسلمين، فأراد أن يدلل على ضدها، وأن يعقد المقارنات التاريخية بين أفعال المسلمين وأفعال النصارى؛ تأكيداً على غلط تلك الصورة الذهنية، فقال: «ولقد أطلنا القول في مسالمة المسلمين عند انتشار دينهم في الغرب؛ لأن الضد ثابت في أذهان المسيحيين، ولا يزال مستحكما في نفوسهم إلى يومنا هذا، مع ما أظهره المؤرخون، ومَن طافوا بلاد الشرق، مِن مخالفته للواقع. قال ميشو في "تاريخ الحروب الصليبية": "لـمَّا استولى عمر (ﷺ) على مدينة أورشليم، لم يفعل بالمسيحيين ضرراً مطلقاً، ولكن لـمَّا استولى المسيحيون على تلك المدينة، قتلوا المسلمين ولم يُشفقوا، واحرقوا اليهود حرقاً"» [٧٤].

وأضاف بعد ذلك قائلاً: «وقد انتشر الإسلام في شرقي بلاد العرب، في جميع القارة الأسيوية، بين القرن الثاني عشر والرابع عشر. ولم ينشأ عنه عسف ولا حروب، حتى أن حكام المسلمين أنفسهم احترموا مدينة "بينارس" [٧٥]؛ لاعتبارها عند الهنديين مدينة مقدسة، مع أن أهلها جميعاً كانوا من البراهمة تقريباً» [٧٦].

خامساً: حديث "دي كاستري" عن نتيجة سماحة المسلمين وعدلهم مع غيرهم:

قادت قناعة "دي كاسترى" التامة بعدل المسلمين وسماحتهم مع غيرهم إلى الاعتقاد بأنها هي السبب بما حل بالمسلمين في الاندلس، فقال: «وبالجملة، فإن الإسلام ما دخل بلداً إلا وصار ذا المقام الأول بين الديانات المسيحية، من غير أن يتعرض لمحوها. وعلى هذا، يتحقق أن الدين الإسلامي لم ينشر بالعنف والقوة، بل الأقرب للصواب أن يقال: إن كثرة مسالمة المسلمين، ولين جانبهم، كان سبباً في سقوط المملكة العربية» [٧٧].

وعند حديثه عن سبب انحسار الفتح الإسلامي عن أوروبا ذهب إلى أن من أسبابه القوية:

الثورة التي قامت بين سكان المغرب فمنعت عن المسلمين المدد الذي كان يأتيهم من الأقطار العربية، وكذلك محاسنة المسلمين لغيرهم في الأندلس، فقال: «لكننا لا ننسى أن نضيف إليه تطرف المسلمين في المحاسنة، فإنه سهل العصيان، ومهَّد لبعض عائلات المغرب المستقلة طريق الخروج عن الجامعة في بلاد الأندلس وبلاد المغرب. وانتهى الأمر مع تلك المحاسنة إلى انحلال عناصر المملكة العربية. ومن المظنون أن المسلمين لو عاملوا الأندلسيين مثل ما فعل المسيحيون بالأمم الساكسونية، و"الواندية" لأخلدت إلى الإسلام، واستقرت عليه؛ لأنها مع تمتعها بحرية دينها المسيحي، كانت كثيرة الانشقاق والأحزاب. وما لنا ولهذه الظنون والتخمينات! وأمامنا أمر واحد ينبغي الوقوف عنده، وهو ان ديانة القرآن تمكنت من قلوب جميع الأمم اليهودية والمسيحية والوثنية، في أفريقيا الشمالية، وفي قسم عظيم من آسيا، حتى أنه وُجِد في بلاد الأندلس من المسيحين المتنورين مَن تركوا دينهم حباً في الإسلام. كل هذا بغير إكراه، إلا ما كان من لوازم الحوب، وسيادة حكومة الفاتحين» (٧٨).

هذا الرأي من "دي كاستري" وإن كان يلامس عاطفة لدى المسلم الذي يشعر بعظم فقد الأندلس، إلا أنه لا يمكن الاقرار بأن العدل والإحسان، أو المحاسنة كما عبّر "دي كاستري" يقود إلى الشر أو الانهزام! لأنها مما يأمرنا به ديننا العظيم، مع أنفسنا ومع غيرنا، ولا يمكن أن يوجد في أوامر ديننا ما فيه شر أو يقود إلى شر، لا سيما وأن التاريخ يشهد بأن السبب الرئيس فيما حل بالمسلمين في الأندلس هو التفرق والتنازع والاختلاف الذي نهانا عنه الإسلام، وأخبرنا بعاقبته، وهي الفشل، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ ﴾ **(سورة الأنفال: الآية: ٤٦).**

وبعد، فيتضح مما سبق مدى صدق شهادة "دي كاستري" في بيان عدل المسلمين وسماحتهم مع غيرهم. وهو الواقع العملي الذي يتفق مع أوامر ديننا الحنيف، ويختلف تماماً عن الصورة الذهنية التي رسمها المستشرقون ورجال الكنيسة عن الإسلام والمسلمين.

المبحث الرابع: دوافع وأسباب شهادة المستشرق هنري دي كاستري للمسلمين:

مضى في المبحثين السابقين بيان إنصاف المستشرق "دي كاستري" في وصفه للصورة النمطية للإسلام والمسلمين في الذهنية الغربية، وصدقه في بيان الصورة الحقيقية الواقعية لهما، إلى درجة أن بعض العلماء والباحثين من المسلمين اعتقد بأن "دي كاستري" قد اعتنق الإسلام!

ومن هنا يأتي السؤال البديهي: لماذا أنصف "دي كاستري" الإسلام والمسلمين، مخالفاً بذلك الاتجاه السائد لدى المستشرقين ورجال الكنيسة، الذين ما فتئوا يشوهون صورة الإسلام والمسلمين؟

إن قراءة كتاب "الإسلام خواطر وسوانح" قراءة متأنية، والنظر في سيرة المستشرق "دي كاستري"، ضابطاً في جيش الاحتلال الفرنسي ثم مؤرخاً لتاريخ المغرب العربي، يتبين له أن المستشرق "دي كاستري" ما كان في كتابه "الإسلام خواطر وسوانح" إلا ناصحاً أميناً لحكومة بلاده المستعمرة لبلاد المسلمين (الجزائر)، وما كان لنصحه أن يكون صادقاً إلا بأن يتخلى عن نهج الاستشراق والكنسية في استنقاص الإسلام والمسلمين، وأن يسلك سبيل الصدق والإنصاف

في وصف الإسلام والمسلمين، كما عرفه عبر قراءة التاريخ وكما عايشه سنين طويلة في بلاد المغرب العربي.

وقد حرص "دي كاستري" في مطلع كتابه أن يبين هذا الأمر؛ حتى لا يساء به الظن من قبل المستشرقين، ويُحمل إنصافه على أنه تمجيد للإسلام، فقال بكل وضوح: «لست أقصد بكتابي هذا أن أمجِّد الإسلام، ولكني لما رأيتُ أنه صار من المسائل الكبرى التي اشتغلت بها أذهانُ الباحثين من العصر الحاضر، ...، انتهزت هذا الميل، وأردت التنبيه إلى بعض أغلاط، علقتْ بالأفكار عندنا، من حيث النبي العربي، ودينه الإسلامي» [٧٩]، وأضاف قائلاً: «كذلك أرى أنه لا يكفي لأمة مسيحية متمدنة أن تحترم دين المسلمين من رعاياها. بل يجب عليها أن تسعى إلى معرفة ذلك الدين كما ينبغي. فنحن نضحك إشفاقاً من سماع الأقاصيص التي نقرأها لبعض المسلمين بخصوص المسيحيين. ونقول: أولئك قوم جهلة متعصبون، وإنهم في بغضهم لنا مخطئون. إلا أن المسيحيين هم كذلك في بغضهم للمسلمين، لا يعدلون» [٨٠].

وإضافة إلى أن "دي كاستري" لم يقصد تمجيد الإسلام فإنه أيضاً لم يزدري النصرانية، بل يرى أنها أرفع شأناً من الإسلام، وقال في ذلك: «لو جاز عقلاً أن ترتب الديانات التي دانت بها المخلوقات، لوجب جعل الإسلام أولها بعد ديانة التثليث؛ لأنها أي الديانة المسيحية بلا شك أرفع منه من جهة المعقولات» [٨١].

ولا يمكن القول أيضاً بأن انصاف "دي كاستري" جاء بسبب اعتناقه، الإسلام، وهذا أمر ظاهر في كتابه، إلى درجة تأكيده على أن صدق نبينا ﷺ الذي بيَّنه ودافع عنه لا يعني أن الكتاب الذي أنزل عليه هو من عند الله تعالى! حيث قال: «إن ذلك الصدق متفق عليه بين المستشرقين والمتكلمين على وجه التقريب. ومعلوم أنه لا تلازم بين هذه المسألة وبين كون القرآن كتاباً منزلاً من عند الله» [٨٢]، ويؤكد هذا أيضاً ما جاء في ترجمة "دي كاستري" في قاموس المستشرقين الناطقين بالفرنسية بأن اهتمامه بالكاثوليكية دفعه إلى دراسة الإسلام ونشر كتب عن الدين الإسلام تثبت التزامه بسياسة التوسع الاستعماري للمغرب [٨٣].

ومن هنا يمكننا القول بأن الدافع الحقيقي لشهادة "دي كاستري" هو النصح للحكومة الفرنسية بأن تغيير سياستها في التعامل مع المسلمين في الجزائر، الذين مضى على احتلال بلادهم آنذاك عشرات السنين، ومع ذلك لم يخضعوا للمحتل، وقال "دي كاستري" واصفاً ذلك: «مضى على الاحتلال الفرنسي للجزائر نصف قرن، لم يؤثر فيه على الإسلام» [٨٤].

ويؤكد هذا الأمر أن "دي كاستري" بعد أن بيَّن بإنصاف واقع الإسلام والمسلمين، وبخاصة فيما يتعلق بعدلهم وإحسانهم مع غيرهم، قدم لحكومة بلاده المحتلة جملة من التوصيات، التي رأى فيها تثبيتاً لأمرها في الجزائر.

وهذه نماذج من أبرز التوصيات التي قدمها "دي كاستري" لحكومته الفرنسية في كتابه "الإسلام خواطر وسوانح":

الأولى: أوصى "دي كاستري" بأنه يجب على الدول المستعمرة أن تتعرف على دين رعاياها، لكي

يستت لها الأمر. وقال في ذلك: «نستخلص مما تقدم: أن يجب على الدول الأوربية التي تميل إلى التوسع في الاستعمار أن تتعرف ديانة رعاياها، أو أصدقائها المسلمين كما ينبغي؛ إذ الدول لا تزال حتى الساعة على اعتقادها الذي كانت عليه أيام القرون الوسطى، وهو أن الإسلام صورة من صور الديانة الوثنية. اللهم إلا نفراً قليلاً من المستشرقين، الذين لا تأثير لآرائهم في السياسة» (٨٥).

وهذه التوصية بالتعرف على دين الرعايا هي ما اجتهد "دي كاستري" في بيانه للحكومة الفرنسية من خلال كتابه "الإسلام خواطر وسوانح"، فأنصف كثيراً فيما ذكره عن الإسلام والمسلمين.

الثانية: أوصى "دي كاستري" الحكومة الفرنسية بالبعد عن السعي لتنصير المسلمين، والاكتفاء بالعيش معهم بمسالمة وموادعة، لأن تنصيرهم كما ذكر أمرٌ صعب المنال، حيث قال «لا ينبغى أن نعلق الآمال، بالوصول إلى تحوُّل رعايانا المسلمين في الجزائر إلى فرنسيين. بل يجب علينا أن نجتهد في أن نعيش معهم على ما يلزم من المسالمة والموادعة. وهو حل بسيط، لست أدري لِمَ أهمله الباحثون، وقلَّ الإقبال عليه. كما أنني لم أقف على السبب الذي دعاهم إلى الحكم بأنه ليس لمسلم الجزائر، إلا أن يتحول، أو يفنى» (٨٦).

الثالثة: أوصى "دي كاستري" الحكومة الفرنسية بترك سياسية تجنيس الجزائريين، لأنه كما ذك لا فائدة منها، بل قد تعود بالضرر على فرنسا. وأوصى بالعمل، عوضاً عن ذلك، على فهم حاجات الناس والسعي إلى إرضائهم، فقال في ذلك: «أما منح الجنسية الفرنسية للأهالي، فإلا يفيد إلا في بعض الشؤون الإدارية المحضة» (٨٧)، وأضاف محذراً من أن ينال الجزائريون نفس الحقوق التي للفرنسيين بسبب التجنيس، فقال: «وجب علينا أن نعيش في الجزائر بجانب سكانها وفاتحيها الأقدمين، وأن نقلع عن التطلع إلى التحويل، أو التجنيس. فكلاهما وهمٌ وخيال. ولا خوف من هذا، بل الخوف يأتينا إذا أوجبنا عليهم التجنس بجنسيتنا، فنالوا ما لنا من الحقوق السياسية» (٨٨).

وأكد "دي كاستري" على أن العمل على تفهم حاجات الجزائريين وتقديم بعض الخدمات لهم هو ما سيجعلهم أعواناً للاستعمار، فقال: «ولو تنزل حكامنا إلى تعرف أمة الجزائر التي يجهلونها، أو يعرفونها على غير الواقع، وعملوا على مرضاتها ببعض ما تميل إليه، وتخفيف شيء من أثقالها لانتفى الخوف منها، وزال خطرها، وتصير أعظم مساعد على الاستعمار» (٨٩).

الرابعة: في سبيل إخماد ثورات القبائل في جنوب الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي أوصى "دي كاستري" الحكومة الفرنسية قائلاً: «ولو أن الحكومة لاحظت جانب العدل والحكمة في إدارة الأهالي وألغت الامتيازات التي لرؤساء القبائل تماماً، واختطت السكك الحديدية في جنوب البلاد، وأصلحت من نظام الجيش؛ لقلت حركات الثورة في بلاد الجزائر. وهدأ المسلمون من شواطئ البحر الأبيض المتوسط، إلى شواطئ نهر النيجر» (٩٠).

الخامسة: أوصى "دي كاستري" الحكومة الفرنسية بأن لا تعادي القبائل المسلمة المجاورة للجزائر التي تسعى لنشر الإسلام بين الأمم الوثنية، بل رأى في ذلك مصلحة للمسيحية التي يمكن لها فيما بعد تنصير الوثنيين بعد دخولهم في الإسلام، فقال: «بالنظر إلى سياستنا في أفريقيا الوسطى، وهو أمر سهل النوال، ذلك أننا لا نشير على فرنسا التحالف مع المسلمين، وإن كانت هذه السياسة التي

رآها فرانسوا الأول، ولكننا نرى أنه يجب عليها معاملة الإسلام في أفريقيا بما يسعها من المحاسنة والتجمل» [٩١].

ثم أضاف: «ولو عارض قوم بأنه لا ينبغي أن يكون هذا شأن فرنسا المسيحية، وأنه يجب عليها أن تمانع جهدها انتشار الإسلام حول أملاكها في أفريقيا، لتحصنتُ في الردِّ عليه برأي الكاردينال "هرجوتر" وهو أن تاريخ الكنسية، يعتبر أن فناء الأمم الوثنية في الأمم الإسلامية، من المقاصد الإسلامية المحتمة. قال الكاردينال: "على الإسلام أن يُهيئ الأمم العريقة في الهمجية، وأخصها الأمم الأفريقية، إلى التمدن. فإنها بما فطرت عليه من الانحطاط في الإدراك، وما تعودت عليه من الشهوات، محتاجة إلى التحول عن الوثنية إلى الإسلام؛ ليتسنى تحويلها من الإسلام إلى النصرانية"» [٩٢].

ومع هذا لم يغب عن "دي كاستري" في هذا الموضع صعوبة تنصير المسلمين، كما أوردت ذلك في وصيته الثانية، فاستدرك قائلاً: «لكن: أنَّى لنا في الوصول إلى نقل تلك الأمم من القرآن إلى الإنجيل؟ وكيف يمكن أن يصير الوثنيون عباداً للمسيح، بعد اعتناق الإسلام، وهو الدين الذي يتمكن من القلوب فلا يفارقها؟! هنا يختلط علينا المقصد الإلهي، فلا ندرك مرماه» [٩٣].

ومع ذلك رأى أن تحول الوثنيين للإسلام أخف الضررين بالنسبة للفرنسيين، فقال: «على أنه لو لم يكن للإسلام من فائدة إلا تحويل عبدة الأصنام من وثنيين إلى موحدين، وترقية أخلاقهم وملكاتهم، لكفى بذلك داعياً إلى معاملتهم بسياسة التلطف والاعتدال، جرياً على قاعدة العمل بأخف الضررين» [٩٤].

وبعد، فيتضح مما سبق أن عدم استقرار الاحتلال الفرنسي في الجزائر هو الذي حمل "دي كاستري" إلى تأليف كتابه "الإسلام خواطر وسوانح"، حيث حاول فيه أن يصحح الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين، التي رسمت في الذهنية الغربية، وجعلها كالمقدمة العلمية الطويلة للتوصيات التي ختم بها كتابه ورأى فيها توطيداً للاحتلال الفرنسي للجزائر وتثبيتاً له.

المبحث الخامس: صدى شهادة المستشرق هنري دي كاستري في العالم الإسلامي:

كان لشهادة المستشرق "هنري دي كاستري" صداها في كتابات علماء المسلمين وباحثيهم، وخاصة في معرض دفاعهم عن الإسلام والمسلمين وتفنيد مفتريات رجال الكنسية والمستشرقين.

وكان ذلك الصدى في كتاباتهم إما بالاقتباس من كلام "دي كاستري"، أو على بالإحالة إلى كتابه بشكل عام، وفيما يلي بعض على الأمثلة على ذلك:

أولاً: الاقتباس من كلام "دي كاستري":

اقتبس العديد من العلماء والباحثين من كلام المستشرق "دي كاستري"، وكان ذلك إما في سياق الاستشهاد بكلامه في الرد على شبهة معينة محددة، أو في سياق الاستشهاد بكلامه كمنصف تحدث بحق عن الإسلام والمسلمين، ومن أمثلة ذلك:

١. استشهد الشيخ عبد الحليم محمود بكلام "دي كاستري" عن الإسلام والمسلمين وعن نبينا الكريم ﷺ، وذلك في كتابه "أوربا والإســــلام" تحت عنوان "مفكرون ومنصـــــفون من

الغرب" (٩٥).

٢. استشهد الشيخ محمد أبو زهرة في تفسيره "زهرة التفاسير" بكلام "دي كاستري" عند تفسيره لقوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ)، حيث ذكر الشيخ أبو زهرة مقت المسلمين للخمر، ثم استشهد بقول "دي كاستري": «إن المسكرات التي استعملها الأوربيون للتعجيل بالإجهاز على بعض الأمم المغايرة لهم، لا تؤثر عند أهالي الجزائر؛ لأنهم يمقتونها مقتاً شديداً» (٩٦)-(٩٧).

٣. أورد شوقي أبو خليل في كتابه "الإسلام في قفص الاتهام" تحت عنوان "شهادات منصفة" كلام "دي كاستري" عن انتشار الإسلام (٩٨).

٤. استشهد عماد الدين خليل في كتابه "قالوا عن الإسلام" بالكثير من كلام "دي كاستري" عن الإسلام، وعن القرآن، وعن نبينا الكريم ﷺ، وعن معاملة المسلمين لغير المسلمين، وعن المرأة المسلمة، وعن حاضر ومستقبل المسلمين (٩٩).

٥. استشهد الدكتور منذر السقار في كتابه "تنزيه القرآن الكريم" ببعض كلام "دي كاستري" عن القرآن الكريم (١٠٠).

ثانياً: الإحالة إلى كتاب "الإسلام خواطر وسوانح":

هناك من العلماء والباحثين من أحال على كتاب "الإسلام خواطر وسوانح"؛ وذلك إما للاطلاع على المزيد من المفتريات حول الإسلام والمسلمين التي أوردها "دي كاستري"، أو للوقوف مباشرة على شهادة "دي كاستري" ودفاعه عن الإسلام والمسلمين، ومن أمثلة ذلك:

١. في تفسير المنار، عند قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ أحال الشيخ محمد رشيد رضا القارئ على كتاب "الإسلام خواطر وسوانح"؛ للنظر في مفتريات الغربيين التي أوردها "دي كاستري"، فقال: «ومن ليس له إلمام من المسلمين أو غيرهم بشيء من ذلك فلينظر في كتاب الإسلام خواطر وسوانح للمستشرق الفرنسي الكونت هنري دي كاستري وترجمته العربية لأحمد فتحي باشا زغلول، وحسبه الفصل الأول منه» (١٠١).

وأيضاً عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ كتب الشيخ محمد رشيد تحت عنوان "صد الكنسية عن دين الله وبغيُهُ عوجا": «وقد كان أتباعهم يصدقون ما يقولون ويكتبون. ويتهيجون بما ينظمون وينشدون، حتى إذا ما اطلع بعضهم على كتب الإسلام ورأوا المسلمين وعاشروهم فضحوهم أقبح الفضائح، كما ترى في كتاب (الإسلام خواطر وسوانح) للكونت دي كاستري» (١٠٢).

٢. في كتاب الوحي المحمدي أحال الشيخ محمد رشيد رضا القارئ على كتاب "الإسلام خواطر وسوانح" للاطلاع على فضح "دي كاستري" لأكاذيب ومفتريات رجال الكنيسة حول الإسلام والمسلمين (١٠٣).

٣. في كتاب النبأ العظيم أحال الشيخ محمد دراز، أثناء حديثه عن شمائل رسولنا الكريم ﷺ، القارئ على كتاب الإسلام خواطر وسوانح للوقوف على شهادة "دي كاستري عن نبينا ﷺ [١٠٤].

٤. في مجلة المنار كتب الشيخ محمد رشيد رضا مقالاً عن كتاب "الإسلام خواطر وسوانح"، ومما جاء فيه قوله: «ومن المثنين على الإسلام في مصنفاتهم (الكونت هنري دي كاستري) كتب كتابًا سماه: (الإسلام خواطر وسوانح)، بحث فيه عن صدق سيدنا محمد ﷺ في نبوته، ففند مزاعم قومه فيه، لا سيما أصحاب (أغاني الإشارات)، التي كانت السبب في الحروب الصليبية، وتكلم على الإسلام في زمن الفتح وما بعده، وعلى القضاء والقدر، وغير ذلك من المسائل التي يطعن بها أهل أوروبا على الإسلام، وتكثر المباحث بها في هذه الأيام، لا سيما من المستشرقين في أوروبا، ويستشهد في كلامه بالقرآن العزيز ويحتج بآياته» [١٠٥].

وبعد، فمن خلال الأمثلة التي أوردتها آنفاً وغيرها من الأمثلة التي وقفت عليها يمكن ملاحظة الآتي:

أولاً: بالرغم من أهمية كتاب "الإسلام خواطر وسوانح" كشهادة منصفة، وتميزه بإيراد الكثير من مفتريات رجال الكنسية والمستشرقين ونقدها إلا أن صداه في العالم الإسلامي لم يعدو تلك الاقتباسات أو الإحالات التي أوردت نماذج منها، وكان حق هذا الكتاب أن يُعتنى به، وأن يُستفاد مما جاء فيه من حق كثير بشكل أكبر من مجرد اقتباس بعض المواضع أو الإحالة عليه بشكل عام.

ثانياً: لم أقف بين تلك الاقتباسات والإحالات على من أشار إلى أن شهادة "دي كاستري" المنصفة لم تكن تأثراً بالإسلام أو تمجيداً له بل كانت نصحاً وإرشاداً لحكومة بلاده المحتلة. بالرغم من أن الإشارة إلى هذا الأمر مما يزيد شهادة المشتشرق "دي كاستري" أهمية، كونها منصفة ولم تصدر عن عاطفة أو ميل.

ووقفت قريباً من هذا على عبارة وردت في مقالة عن سيرة "دي كاستري" نشرت في مجلة دعوة الحق (المغربية)، وصف فيها كاتب المقالة كتاب "الإسلام خواطر وسوانح" بقوله: «يُعد كتابه من أحسن ما جادت به قريحة متشيع للدين المسيحي للدعوة إلى احترام المسلمين، واجتناب السخرية من معتقداتهم وإلى الإعراض عن سياسة الإدماج والتفرنس» [١٠٦].

ثالثاً: أن بعض العلماء والباحثين أخطاء فظن "دي كاستري" أسلم ثم كتب كتابه "الإسلام خواطر وسوانح"، والبعض الآخر ظن أن العاطفة والتأثر قادت "دي كاستري" إلى تأليف كتابه "الإسلام خواطر وسوانح".

وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

١. ذهب الشـيخ عبد الحليم محمود رحمه الله في كتابه "أوربا والإسـلام" إلى أن سـبب دراسـة "دي كاسـتري" للإسـلام، وتأليفه لكتاب "الإسـلام خواطر وسوانح" هو تأثره بمشـهد صـلاة بعض الجنود المسـلمين ممن كانوا تحت إمرته حينما كان ضـابطاً في جيش

الاحتلال الفرنسي للجزائر [١٠٧]. بينما السبب لم يكن كذلك كما بينت ذلك في المبحث السابق، وأما قصة الصلاة التي أوردها "دي كاستري" في مقدمة كتابه فما هي إلى تمهيد جذاب لكتابه [١٠٨].

٢. ذهب الشيخ عبد الحميد كشك في إحدى خطبه إلى أن "دي كاستري" دخل الإسلام عن طواعية بعد أن تأثر بمشهد صلاة الجنود الذين كانوا معه، فقرأ عن الإسلام، وقرأ القرآن الكريم، ثم نطق بالشهادين! [١٠٩].

٣. ذهب أيضاً محمد فريد وجدي رحمه الله في "دائرة معارف القرن العشرين" إلى أن "دي كاستري" ممن آمن بنبينا الكريم ﷺ، فقال: «ولقد آمن به عدد من كبار فلاسفة الغرب مثل المؤرخ الفيلسوف كارليل الانجليزي والبارون هنري دو كاستري الفرنسي واللورد هادلي» [١١٠]. والأمر بطبيعة الحال لم يكن كذلك.

وأحسب أن خطأ هؤلاء الأعلام، سواء في القول بتأثر "دي كاستري" بالإسلام، أو القول بأنه دخل الإسلام، إنما هو نتيجة لتأثرهم بالإنصاف العظيم الذي سطره "دي كاستري" في كتابه "الإسلام خواطر وسوانح".

رابعاً: مما لاحظته أيضاً أن بعض الباحثين المعاصرين استشهدوا بكلام "دي كاستري"، ولكنهم لم يرجعوا مباشرة إلى كتاب "الإسلام خواطر وسوانح"، بل نقلوا شهادته من كتب أخرى، بالرغم من أن كتاب "الإسلام خواطر وسوانح" يُعد من الكتب المتوفرة ورقياً وإليكترونياً.

ومن الأمثلة على ذلك:

١. استشهاد الدكتور إسحاق السعدي بكلام "دي كاستري" في عدة مواضع من كتابه "دراسات في تميز الأمة الإسلامية" [١١١] نقلاً عن كتاب "الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين". ولما رجعت إلى هذا الكتاب المنقول منه وجدت أن مؤلفه (نذير حمدان) نقل أيضاً شهادة "دي كاستري" من كتاب آخر وهو "أوربا والإسلام" لعبد الحليم محمود! [١١٢].

٢. استشهد الدكتور عبد المحسن المطيري في كتابه "دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم"[١١٣]، بكلام "دي كاستري" عن القرآن الكريم نقلاً من كتاب "رد افتراءات المبشرين على القرآن الكريم"، ولما رجعت إلى هذا الكتاب وجدته أيضاً نقل شهادة "دي كاستري" من كتاب "أوربا والإسلام" [١١٤].

وبعد، فيتبين مما مضى من أمثلة وملاحظات أن صدى شهادة المستشرق "هنري كاسترى" في العالم الإسلامي لم يكن بالقدر الذي يوازي أهميتها كمضمون، أو تميزها كشهادة منصفة من مستشرق أراد بها خدمة بلاده لا خدمة الإسلام والمسلمين.

الخاتمة:

أولاً: النتائج:

الحمد لله على عظيم منته، وجزيل عطاياه، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد توصلت في ختام بحثي هذه إلى ما يلي من النتائج:

١. أن الصورة الذهنية عن الإسلام والمسلمين في الفكر الغربي كانت ولا تزال سلبية بشكل عام، بسبب التشويه الذي تولى أمره وكبره المستشرقون ورجال الكنيسة.

٢. أن من المستشرقين المنصفين من انتقد الصورة الذهنية السلبية عن الإسلام والمسلمين في الغرب، وسعى كذلك في تصحيحها، ومنهم المستشرق الفرنسي "هنري دي كاستري".

٣. أن المستشرق "دي كاستري" جمع في حياته بين العمل ضابطاً في جيش الاحتلال الفرنسي ثم معتنياً بتاريخ المغرب العربي. الأمر الذي نال به خبرة ومعرفة بالإسلام والمسلمين.

٤. أن "دي كاستري" في حديثه عن الإسلام والمسلمين سلك مسلك العدل والإنصاف، مخالفاً بذلك المسلك العام للمستشرقين ورجال الكنيسة.

٥. أن "دي كاستري" اختار في كتابه أبرز المواضيع التي استخدمها المستشرقون ورجال الكنيسة في تشكيل صورة ذهنية سئية عن الإسلام والمسلمين، فأبرزها في كتابه، وانتقدها، وبين الحق فيها بشكل عام. وأبرز تلك المواضيع هي: شخص نبينا الكريم ﷺ وفتوحات المسلمين، وتعدد الزوجات، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، وانتشار الإسلام.

٦. أن "دي كاستري" تناول موضوع سماحة المسلمين وعدلهم تناولاً صادقاً ومنصفاً بين فيه واقع المسلمين، وقارنه في بعض الحالات مع ما عند النصارى، كمقارنته بين سماحة المسلمين وعدلهم زمن الفتوحات مع قسوة النصارى. ومقارنته بين سماحة المسلمين وعدلهم بعد استقرار حكوماتهم بما وقع من المسيحيين. إلى غير ذلك مما بيَّنته بالتفصيل في المبحث الثالث.

٧. أن التأثر بالإسلام أو تمجيده أو الدفاع عنه لم يكن الدافع الذي حمل "دي كاستري" على تأليف كتابه "الإسلام خواطر وسوانح"، بل الدافع الحقيقي هو النصح للحكومة الفرنسية؛ لأنه لاحظ عدم استقرار الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، فقام بتأليف كتابه؛ ليرسم للحكومة الفرنسية الطريق الذي رأى أن به استقرار أمرها في الجزائر.

٨. أن هذا الدافع يزيد من أهمية ومكانة شهادة المستشرق "دي كاستري" عن الإسلام والمسلمين، كونها صدرت منه خدمة للغرب لا خدمة للإسلام والمسلمين.

٩. أن مما يؤكد هذا الدافع التوصيات العديدة للحكومة الفرنسية التي سطرها "دي كاستري" في كتابه، ورأى فيها توطيداً وتثبيتاً للاحتلال الفرنسي في الجزائر.

١٠. أن كتاب "الإسلام خواطر وسوانح" لم ينل حقه من العناية، بالرغم من أهمية ما ورد فيه، سواء فيما يتعلق بسماحة المسلمين وعدلهم مع غيرهم أو فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين بشكل عام.

١١. أن صدى شهادة "دي كاستري" عن الإسلام والمسلمين لدى علماء الإسلام والمسلمين لم يتجاوز الاقتباسات من كلامه حول مواضيع محددة، أو الإحالة إلى كتابه بشكل عام.

١٢. أن هناك من علماء المسلمين وباحثيهم من أخطأ فظن أن "دي كاستري" ألف كتابه تأثراً بالإسلام أو بالقرآن، ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك فظن أنه دخل الإسلام ثم ألف كتابه. والأمر لم يكن كذلك.

ثانياً: التوصيات:

من خلال ما مضى من نتاج أرى التوصية بما يلي:

١. أن على علماء المسلمين وباحثيهم العناية بتأليف ونشر كل ما يُسهم في تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في الغرب، الأمر الذي سيخدم –بإذن الله– انتشار الإسلام في البلاد الغربية.

٢. ضرورة العناية العلمية الدقيقة بمؤلفات المنصفين من المستشرقين، ومنها كتاب "الإسلام خواطر وسوانح".

٣. استغلال القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي في نشر شهادة المنصفين من الغربيين حول الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية.

٤. استثمار شهادة المنصفين من الغربيين حول الإسلام والمسلمين بشكل علمي في تعزيز تمسك المسلمين بدينهم واعتزازهم به.

٥. توجيه الباحثين في الحقل الأكاديمي لدراسة شهادات المنصفين من المستشرقين دراسة علمية تخدم بمخرجاتها الإسلام، وتصحح صورته وتعزز انتشاره في العالم.

٦. ترجمة الكتب التي اعتنت ببيان العدل والسماحة في الإسلام إلى اللغات العالمية.

٧. إنشاء المراكز العلمية المتخصصة في الدفاع عن صورة الإسلام والمسلمين، ورد المفتريات الكثيرة المثارة حولهما.

وصلى الله على نبينا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين



الهوامش:

(١) يُنظر: القاموس المحيط ١٠٣٠/١. لسان العرب ٤٣٠/١١. الصحاح للجوهري، ١٧٦٠/٥.
(٢) رواه مسلم، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبته، ح رقم (١٨٢٧)، ص: ١٤٥٨/٢.
(٣) رواه البخاري، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ح رقم (٦٦٠)، ص: ١٣٣/١.
(٤) رواه مسلم، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح رقم (٢٨٦٥)، ص: ٢١٩٧/٤.
(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ص: ١٤٦/٢٨.
(٦) ينظر: الصحاح للجوهري، ص: ٣٧٦/١.
(٧) يُنظر: معجم مقاييس اللغة، ص: ٩٩/٢.
(٨) رواه أحمد في مسنده، ح رقم (٢٢٢٩١)، ص: ٦٢٣/٣٦، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح رقم (٢٩٢٤)، ص: ١٠٢٢/٦.
(٩) رواه البخاري، باب: الدين يسر وقول النبي ﷺ:« «أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة»، ص: ١٦/١.
(١٠) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتنزيل، دار المعرفة - بيروت، ط بدون، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص:٣٠٣.
(١١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة-بيروت، ط بدون، ١٣٧٩هـ، ص:٩٤/١.
(١٢) محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الاسلامية، وزارة الأوقاف-قطر، ط بدون، ١٤٢٥هـ، ص: ٣/ ١٧٤.
(١٣) المرجع السابق، ص: ١٧٤/٣.
(١٤) عطية محمد سالم، الكتاب: محاسن الشريعة ومساوئ القوانين الوضعية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد الأول، السنة السادسة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص: ٢٩.
(١٥) تقدم تخريجه.
(١٦) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص: ٣٧٣/٤.
(١٧) محمد الخضر حسين، مقال بعنوان "سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين"، موسوعة الأعال الكاملة لمحمد الخضر حسين، علي الحسيني، دار النوادر - سوريا، ط١، ١٤٣١هـ، ص: ٢٠٣/٥.
(١٨) رواه البخاري، باب: الهدية للمشركين، ح رقم (٢٦٢٠)، ص: ١٦٤/١.
(١٩) رواه مسلم، باب: باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ح رقم (١٧٣١) ص: ١٣٥٧/٣.
(٢٠) القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ، ص: ١٨٤/١.
(٢١) الموسوعة الميسرة، ص: ٥٩٧/٢.
(٢٢) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام - القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ، ص٢٨٢.
(٢٣) ابن حجر، فتح الباري، ص: ٢٣٣/٥.
(٢٤) يُنظر، المستشرقون، نجيب العقيقي، ٢٣٢/١.
(٢٥) يُنظر: عبد القادر الخلادي، دو كاستر وتاريخ المغرب٢، مجلة دعوة الحق، المغرب، العدد ٧، السنة السادسة عشرة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ص: ١٦٥-١٦٨.
(٢٦) يُنظر: المرجع السابق.
(٢٧) عبد القادر الخلادي، دو كاستر وتاريخ المغرب١، مجلة دعوة الحق، المغرب، العدد ٥،٤، السنة السادسة عشرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص: ١٤٤.
(٢٨) المرجع السابق، ص: ١٤٥.
(٢٩) يُنظر: المستشرقون للعقيقي، ٢٣٢/١. وموسوعة ويكيبيديا، مادة: Henry de Castries، الرابط: https://fr.wikipedia.org/wiki/Henry_de_Castries.
(٣٠) يُنظر: عبد القادر الخلادي، دوكاستر وتاريخ المغرب٢،٣، مجلة دعوة الحق.
(٣١) عبد السلام ابن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي -بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج٢، ص٤٤٤.
(٣٢) يُنظر: عبد الرحمن بن محمد ابن زيدان، اتحاف أعلام الناس بأخبار حاضرة مكناس، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ص: ٦٦/٢، و١٦٠/٣.
(٣٣) يُنظر: قاموس المستشرقين الناطقين بالفرنسية، تحرير جان فيرو وآخرون، ٢٠٠١-٢٠١٢م، باريس، مادة "CASTRIES Henry Marie de"، الرابط: http://dictionnairedesorientalistes.ehess.fr/document.php?id=196 في ١٤٣٩/٦/٢٤هـ.
(٣٤) يُنظر: المرجع السابق.
(٣٥) هنري دي كاستري، خواطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، تعليق محمود النجيري، مكتبة النافذة القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ص٢٤.
(٣٦) المرجع السابق، ص٢٦.
(٣٧) يُنظر: يوسف إليان سركيس، معجم المؤلفات العربية والمعربة، مطبعة سركيس-القاهرة، ط بدون، ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م، ص: ١٤٣٦/٢.
(٣٨) أحمد فتحي باشا ابن الشيخ إبراهيم زغلول، (١٢٧٩-١٣٢٢هـ / ١٨٦٣-١٩١٤م) من رواد الترجمة في مصر، درس الحقوق في فرنسا، وعمل وكيلاً لنظارة الحقانية، ترجم العديد من الكتب؛ منها "سر تقدم الإنجليز الكسونيين و"سر تطور الأمم"، وغيرها. يُنظر: الأعلام للزركلي، ١٩٤/١.
(٣٩) هنري دي كاستري، الإسلام خواطر وسوانح، ص١٥.
(٤٠) أشار إلى هذه الأخطاء عبد القادر الخلادي، يُنظر: دوكاستر وتاريخ المغرب١، مجلة الحق، ص: ١٤٥.

(٤١) الإسلام خواطر وسوانح، ص: ٢٦.

(٤٢) المرجع السابق، ص: ٢٦.

(٤٣) الصورة الذهنية، محاولة لفهم واقع الناس والأشياء، عبد العزيز العسكر، دار طويق-الرياض، ١٤١٤هـ، ص ٢٠-٢١.

(٤٤) العلاقات العامة والصورة الذهنية، علي عجوة، عام الكتب – القاهرة، ١٩٨٣هـ، ص١٠.

(٤٥) يُنظر: الصور الذهنية والإعلامية، عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير، أيمن منصور ندا، المدينة برس، ٢٠٠٤م، ص:١٩.

(٤٦) الإسلام خواطر وسوانح، ص ٢٦.

(٤٧) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٤٨) المرجع السابق، ص٣٣، واسكندر كما ذكر "دي كستري" هو أحد قساوسة القرون الوسطى، حيث ألف نشيداً عام ١٢٥٨م، ولم يصف فيه نبينا الكريم ﷺ بالصنم، كما جرت العادة.

(٤٩) المرجع السابق، ص ٣٣.

(٥٠) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٥١) المرجع السابق، ص ٣٦.

(٥٢) المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٥٣) المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٥٤) المرجع السابق، ص: ٣٦-٣٧.

(٥٥) المرجع السابق، ص: ٩٧.

(٥٦) المرجع السابق، ص:١٣١.

(٥٧) المرجع السابق، ص: ٩٣.

(٥٨) المرجع السابق، ص: ٦٨.

(٥٩) المرجع السابق، ص: ٥٦.

(٦٠) يُنظر: المرجع السابق، ص: ٥٦-٦٠.

(٦١) أيمن منصور ندا، الصورة الذهنية والإعلامية، ص:٢٥٣.

(٦٢) يُنظر: الإسلام خواطر وسوانح، ص: ٦٧-٦٨.

(٦٣) المرجع السابق، ص: ٦٨-٦٩.

(٦٤) المرجع السابق، ص: ٧٠.

(٦٥) أي الإمبراطورية البيزنطية، وكانت عاصمتها القسطنطينية، التي غير اسمها المسلمون بعد الفتح إلى إسطنبول.

(٦٦) المرجع السابق، ص: ٧٢-٧٣.

(٦٧) المرجع السابق، ص: ٧٤.

(٦٨) المرجع السابق، ص: ٧٤.

(٦٩) المرجع السابق، ص: ٧٤.

(٧٠) المرجع السابق، ص: ٧٤.

(٧١) المرجع السابق، ص: ٧٦.

(٧٢) المرجع السابق، ص: ٧٧.

(٧٣) المرجع السابق، ص: ٧٩.

(٧٤) المرجع السابق، ص: ٨٢.

(٧٥) بينارس، وتسمى أيضاً فاراناسي، هي إحدى المدن السبعة المقدسة في الهندوسية، وتقع شمال الهند، على الضفة اليسرى لنهر الجانج. يُنظر: الموسوعة البريطانية "بريتانيكا"، مادة "Varanasi "، الرابط: https://www.britannica.com/place/Varanasi في ١٤٣٩/٦/٢٦هـ.

(٧٦) الإسلام خواطر وسوانح، ص: ٨٣.

(٧٧) المرجع السابق، ص: ٨٣.

(٧٨) المرجع السابق، ص: ٨٤.

(٧٩) المرجع السابق، ص: ٢٦.

(٨٠) المرجع السابق، ص: ٢٦-٢٧.

(٨١) المرجع السابق، ص: ١٦٧.

(٨٢) المرجع السابق، ص: ٣٦-٣٧.

(٨٣) يُنظر: قاموس المستشرقين الناطقين بالفرنسية، مادة "CASTRIES Henry Marie de"، مرجع سابق.

(٨٤) المرجع السابق، ص: ١٦٢.

(٨٥) المرجع السابق، ص: ١٦٧.

(٨٦) المرجع السابق، ص: ١٧٠.

(٨٧) المرجع السابق، ص: ١٧١.

(٨٨) المرجع السابق، ص: ١٧١.

(٨٩) المرجع السابق، ص: ١٧١.
(٩٠) المرجع السابق، ص: ١٦٥.
(٩١) المرجع السابق، ص: ١٧٢-١٧٣.
(٩٢) المرجع السابق، ص: ١٧٣.
(٩٣) المرجع السابق، ص: ١٧٣-١٧٤.
(٩٤) المرجع السابق، ص: ١٧٣-١٧٤.
(٩٥) يُنظر: عبد الحليم محمود، أوربا والإسلام، دار المعارف – القاهرة، ط٤، ت بدون، ص: ٥٢-٦٠.
(٩٦) الإسلام خواطر وسوانح، ص: ١٧١.
(٩٧) يُنظر: محمد أحمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ط ت بدون، ص: ٧٠٦/٢.
(٩٨) شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر – دمشق، ط٥، ١٤٠٢-١٩٨٢، ص: ١٣٧.
(٩٩) عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض، ط١، ١٤١٢-١٩٩٢.
(١٠٠) يُنظر: منذر محمود السقار، تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، رابطة العالم الإسلام، ط. ت بدون، ص: ٧٣.
(١٠١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط بدون، ١٩٩٠م، ٣١١/١٠.
(١٠٢) المرجع السابق، ص: ١٢٧/١١.
(١٠٣) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص: ٤٥.
(١٠٤) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار القلم، ط بدون، ١٤٢٦هـ، ص: ٥٢.
(١٠٥) محمد رشيد رضا، مجلة المنار، مقال بعنوان "كتاب الإسلام للكونت هنري دي كاستري"، العدد ١١، محرم ١٣١٦هـ، ص: ١/ ١٨٢ من كتاب: مجلة المنار، ط. ت بدون.
(١٠٦) عبد القادر الخلادي، دو كاستر وتاريخ المغرب١، مجلة دعوة الحق، ص: ١٤٥.
(١٠٧) يُنظر: عبد الحليم محمود، أوربا والإسلام، ص: ٥٢-٦٠.
(١٠٨) ذكر عبد القادر الخلادي في مقاله عن "دي كاستري" نقداً لهذه المقدمة وهو أن المترجم لم يتحر الدقة، ولذلك «لم يتجل في النسخة المعربة "همزات" الكاتب للفرسان المسلمين الذين كانوا يرافقونه، ووصفه إياهم بالخنوع والتملق». عبد القادر الخلادي، دو كاستر وتاريخ المغرب١، مجلة دعوة الحق، ص: ١٤٥.
(١٠٩) يُنظر: عبد الحميد كشك، خطبة "الموت والحياة"، في ١٦-٦-١٩٧٢م، الدقيقة ٢٢:٥٩، الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=KkDSOs_EGfA في ٣٠-٥-١٤٣٩هـ.
(١١٠) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة – بيروت، ط٣، ١٩٧١م، مادة (المعجزة)، ٢٠١/٦.
(١١١) انظر: إسحاق السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منها، وزارة الأوقاف – قطر، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، ١/ ٢٩٧، ٢٨٩، ٢٨٨.
(١١٢) انظر: نذير حمدان، الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، نشر رابطة العالم الإسلامي، ت بدون، ص: ٣٥، ٣٨.
(١١٣) انظر: عبد المحسن المطيري، رد دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م، ص: ٢١٧.
(١١٤) انظر: محمد جمعة عبد الله، رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص: ٢٦٣.

المصادر

١- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث - بيروت، ط ت بدون.
٣- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
٤- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف - الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، ١٩٩٥م.
٥- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة، ط بدون، ١٤٢٦هـ، ١٩٩٥م.
٦- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة - بيروت، ط بدون، ١٣٧٩هـ.
٧- ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
٨- ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتنزيل، دار المعرفة - بيروت، ط بدون، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٩- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٠- إسحاق السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منها، وزارة الأوقاف، قطر، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
١١- الجوهري، الصحاح، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١٢- الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
١٣- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
١٤- شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر - دمشق، ط٥، ١٤٠٢-١٩٨٢.
١٥- الصور الذهنية والإعلامية، عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير، أيمن منصور ندا، المدينة برس، ٢٠٠٤م.
١٦- الصورة الذهنية، محاولة لفهم واقع الناس والأشياء، عبد العزيز العسكر، دار طويق - الرياض، ١٤١٤هـ.
١٧- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام - القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ.
١٨- عبد الحليم محمود، أوربا والإسلام، دار المعارف - القاهرة، ط٤، ت بدون.
١٩- عبد الحميد كشك، خطبة "الموت والحياة"، في ١٦/٦/١٩٧٢م.
٢٠- عبد الرحمن بن محمد ابن زيدان، اتحاف أعلام الناس بأخبار حاضرة مكناس، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢١- عبد السلام ابن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٢٢- عبد المحسن المطيري، رد دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
٢٣- العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف - مصر، ط٣، ١٩٦٤م
٢٤- العلاقات العامة والصورة الذهنية، علي عجوة، عام الكتب- القاهرة، ١٩٨٣هـ.
٢٥- عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض، ط١.
٢٦- الفيروزآبادى، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
٢٧- قاموس المستشرقين الناطقين بالفرنسية، تحرير جان فيرو وآخرون، ٢٠٠١-٢٠١٢م، باريس.
٢٨- القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ.
٢٩- مجلة المنار، العدد ١١، محرم ١٣١٦هـ.
٣٠- مجلة دعوة الحق، المغرب، الأعداد:٧،٥،٤، السنة السادسة عشرة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
٣١- محمد أحمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ط ت بدون.
٣٢- محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الاسلامية، وزارة الأوقاف - قطر، ط بدون، ١٤٢٥هـ.
٣٣- محمد جمعة عبد الله، رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٣٤- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣٥- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط بدون، ١٩٩٠م.

٣٦- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار القلم، ط بدون، ١٤٢٦هـ.

٣٧- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة - بيروت، ط٣، ١٩٧١م.

٣٨- منذر محمود السقار، تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، رابطة العالم الإسلام، ط ت بدون.

٣٩- موسوعة الأعال الكاملة لمحمد الخضر حسين، علي الحسيني، دار النوادر - سوريا، ط١، ١٤٣١هـ،

٤٠- الموسوعة البريطانية "بريتانيكا". النسخة الإليكترونية على شبكة الإنترنت.

٤١- موسوعة ويكبيديا الإليكترونية.

٤٢- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة - الرياض، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٤٣- نذير حمدان، الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، نشر رابطة العالم الإسلامي، ت بدون.

٤٤- هنري دي كاستري، الإسلام خواطر وسوانح، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٣١٥هـ، ١٨٩٨م.

٤٥- هنري دي كاستري، خواطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، المشروع القومي للترجمة بمصر، ط بدون، ٢٠٠٥م

٤٦- هنري دي كاستري، خواطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، تعليق محمود النجيري، مكتبة النافذة القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٧- هنري دي كاستري، خواطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، دار الشعب، ط بدون، ١٣٢٩هـ، ١٩١١م.

٤٨- هنري دي كاستري، خواطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، مكتبة السعادة، القاهرة، ط بدون، ١٩٢٠م، بتصحيح عبد الرحمن البرقوقي.

٤٩- يوسف إليان سركيس، معجم المؤلفات العربية والمعربة، مطبعة سركيس-القاهرة، ط بدون، ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م.

 

Resources

1- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, Sahih Al-Bukhari, Dar Touq Al-Najat, 1, 1422 AH.
2- Muslim bin Al-Hajjaj, Sahih Muslim, Heritage Revival House - Beirut, T. without.
3- Ahmad bin Hanbal, Musnad of Imam Ahmad, Al-Resala Foundation, 1, 1421 AH, 2001 AD.
4- Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din, The Series of Sahih Hadiths, Knowledge Library - Riyadh, 1, 1425 AH, 1995 AD.
5- Ibn Taymiyyah, Total Fatwas, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an - Medina, Bidoun, 1426 AH, 1995 AD.
6- Ibn Hajar al-Asqalani, Fath al-Bari, Dar al-Maarifa - Beirut, I Bidoun, 1379 AH.
7- Ibn Qayyim al-Jawziyya, Media of the Signatories on the authority of the Lord of the Worlds, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1, 1411 AH, 1991 AD.
8- Ibn Qayyim al-Jawziyya, The Healing of the Sick in Issues of Judgment, Predestination, Wisdom and Revelation, Dar al-Maarifa - Beirut, I Bidoun, 1398 AH / 1978 AD.
9- Ibn Manzur, Lisan al-Arab, Dar Sader - Beirut, 3rd edition, 1414 AH.
10- Ishaq Al-Saadi, Studies in the Excellence of the Islamic Nation and the Position of Orientalists towards it, Ministry of Awqaf, Qatar, 1434 AH-2013 AD.
11- Al-Gawhari, Al-Sahah, Dar Al-Ilm for Millions - Beirut, 4th edition, 1407 AH, 1987 AD.
12- Al-Razi, Ahmed bin Faris, Dictionary of Language Measures, Dar Al-Fikr, 1399 AH, 1979 AD.
13- Al-Zarkali, Khair Al-Din, Al-Alam, House of Science for Millions, 15th Edition, 2002 AD.
14- Shawqi Abu Khalil, Islam in the Dock, Dar Al-Fikr - Damascus, 5th edition, 1402-1982.
15- Mental and Media Images, Forming Factors and Strategies for Change, Ayman Mansour Nada, Al-Madina Press, 2004 AD.
16- The mental image, an attempt to understand the reality of people and things, Abdul Aziz Al-Askar, Dar Tuwaiq - Riyadh, 1414 AH.
17- Abd al-Shafi Muhammad Abd al-Latif, Biography of the Prophet and Islamic History, Dar al-Salaam - Cairo, 1, 1428 AH.
18- Abdel Halim Mahmoud, Europe and Islam, Dar Al Maaref - Cairo, 4th edition, t.
19- Abdel Hamid Kishk, sermon "Death and Life", on 06/16/1972 AD.
20- Abd al-Rahman bin Muhammad Ibn Zaidan, Ithaf of people's flags with the news of the metropolis of Meknes, Library of Religious Culture - Cairo, 1, 1429 AH-2008 AD.
21- Abd al-Salam Ibn Souda, Ithaf al-Mutla'a, on the deaths of the thirteenth and fourth century figures, investigation: Muhammad Hajji, Dar al-Gharb al-Islami - Beirut, 1, 1417 AH-1997 AD.
22- Abdul Mohsen Al-Mutairi, Refuting and Responding to the Claims of Appellants in the Noble Qur'an in the Fourteenth Hijri Century, Dar Al-Bashaer Al-Islamiyyah - Beirut, 1427 AH-2007AD.
23- Al-Aqiqi, Najib, Orientalists, Dar Al-Maaref - Egypt, 3rd edition, 1964 AD
24- Public Relations and Mental Image, Ali Ajwa, Year of Books - Cairo, 1983 AH.
25- Imad Al-Din Khalil, They Said About Islam, World Assembly of Muslim Youth - Riyadh, 1st Edition.
26- Al-Fayrouzabadi, Ocean Dictionary, Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution - Beirut, 8th edition, 1426 AH, 2005 AD.
27- Dictionary of French-speaking Orientalists, edited by Jean Ferro et al., 2001-2012, Paris.
28- Al-Qurtubi, Tafsir Al-Jami' of the provisions of the Qur'an, achieved by: Ahmed Al-Baradouni, Dar Al-Kutub Al-Masryah, 2nd Edition, 1384 AH.
29- Al-Manar Magazine, Issue 11, Muharram 1316 AH.
30- Journal of Calling Al-Haqq, Morocco, Issues: 4,5,7, Sixteenth Year, 1394AH-1974AD.
31- Muhammad Ahmad Abu Zahra, Zahrat al-Tafsir, Dar al-Fikr al-Arabi, vol.
32- Muhammad Al-Taher bin Ashour: Objectives of Islamic Sharia, Ministry of Awqaf - Qatar, Bidoun, 1425 AH.
33- Muhammad Juma' Abdullah, Refutation of the Missionaries' slanders on the verses of the Noble Qur'an, Umm Al-Qura University, 1405 AH-1985 AD.
34- Muhammad Rashid Rida, The Muhammadi Revelation, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1426 AH-2005 AD.
35- Muhammad Rashid Rida, Interpretation of Al-Manar, The Egyptian General Book Authority, I. Bedoun, 1990 AD.
36- Muhammad Abdullah Diraz, The Great News, Dar Al-Qalam, I Bidoun, 1426 AH.



37- Muhammad Farid Wagdy, Encyclopedia of the Twentieth Century, Dar al-Maarifa - Beirut, 3rd Edition, 1971 AD.
38- Munther Mahmoud Al-Saqar, The Noble Qur’an is clear of the claims of nullifiers, Muslim World League, T. Bidoun.
39- The Complete Encyclopedia of Al-A’al by Muhammad Al-Khidr Hussein, Ali Al-Husseini, Dar Al-Nawader - Syria, 1, 1431 AH,
40- Encyclopedia Britannica. Online electronic version.
41- Wikipedia online encyclopedia.
42- The World Symposium for Muslim Youth, The Facilitated Encyclopedia of Contemporary Religions, Doctrines and Parties, Dar Al-Nadwa - Riyadh, 4th edition, 1420 AH.
43- Nazir Hamdan, the Messenger ﷺ in the writings of the Orientalists, publication of the Muslim World League, T. without.
44- Henry de Castry, Islam Thoughts and Swings, Dar Al Maaref - Cairo, 1, 1315 AH, 1898 AD.
45- Henri de Castries, Thoughts and Sawaneh, translation: Ahmed Fathy Zagloul, The National Project for Translation in Egypt, Bidoun ed., 2005
46- Henry de Castry, Thoughts and Swans, translated by: Ahmed Fathi Zaghloul, commented by Mahmoud Al-Najiri, Al-Nafidh Library, Cairo, 1, 2008 AD.
47- Henry de Castry, Thoughts and Swans, translated by: Ahmed Fathi Zaghloul, Dar Al-Shaab, I Bidoun, 1329 AH, 1911 AD.
48- Henry de Castry, Thoughts and Swans, translated by: Ahmed Fathi Zaghloul, Al-Saada Library, Cairo, I Bidoun, 1920 AD, corrected by Abdel Rahman Al-Barqouqi.
49- Youssef Elian Sarkis, Dictionary of Arabic and Arabized Works, Sarkis Press - Cairo, Bidoun, 1346AH-1928AD.

Tikrit University
College of Arts



Journal of Al- Farahidi's Arts

A Quartly Academic Journal of The College of Arts - Tikrit

ISSN: 2074-9554 (Print)
ISSN: 2663-8118 (Online)

Deposit Number in The National Library and Documents in Baghdad: 1602 For Year: 2011

Volume (13) Issue (47) September 2021 Third Part